الدولة الخفية في تركيا

يا أيُّها الذين آمنوا استجيبُوا لله وللرّسُول

١٦٧

الوعـــــي

العدد (١٦٧) ــ السنة الخامسة عشرة ــ ذو الحـــجة ١٤٢١هـــ ــ آذار ٢٠٠١م

﴿إنَّ اللّـهَ لا يُـغيِّـرُ ما بقـوم حتى يُـغيِّـرُوا ما بأنفسـهم﴾

آيـةُ الدَّيْـن (٢)

الخـلافةَ ... الخـلافةَ، أعيـدوها أيهـا المسـلمون

أثر الأحكام التي شُرِعتْ في المدينة المنـورة في أحكام الطـريقة (٢)

خـطبـة جُـمُـعـة

ذِكـرى الخـلافـة (قصيدة)

AL-WAIE

الوعي

جامعية – فكرية – ثقافية

السنة الخامسة عشرة – ١٦٧

تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

المراسلات

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
D 10749 Berlin
Germany

ثمن النسخة

لبنان	:	١٠٠٠ ل.ل.
ألمانيا	:	٢ مارك
أميركا	:	٣,٥٠ دولار أميركي
كندا	:	٣,٥٠ دولار كندي
أستراليا	:	٣,٥٠ دولار أسترالي
بريطانيا	:	١ جنيه إسترليني
السويد	:	١٥ كورون سويدي
الدانمرك	:	١٥ كورون دانمركي
بلجيكا	:	٥٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	:	٢ فرنك سويسري
النمسا	:	٢٠ شلن
باكستان	:	دولار أميركي
تركيا	:	دولار أميركي
اليمن	:	٤٠ ريالاً

إقرأ في هذا العدد (١٦٧)

ص

- كلمة الوعي: الخلافة ... الخلافة، أعيدوها أيها المسلمون ٣
- كيفية إيجاد الشخصية القوية المؤثرة ٥
- ﴿إنَّ الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١٢
- أخبار المسلمين في العالم ١٧
- مع القرآن الكريم: آيةُ الدَّيْن (٢) ٢١
- خطبة جُمُعة أُلقيَتْ في أحد مساجد بيت المقدس ٢٤
- الدولة الخفية وواقعها في تركيا ٢٧
- آثر الأحكام الشرعية التي نزلتْ في المدينة المنورة في أحكام الطريقة (٢) ٣٠
- ذكرى الخلافة (قصيدة) ٣٣
- كلمة أخيرة: الأمن الغذائي والنموذج البريطاني ! ... ٣٥

إلى السادة الكتّاب

- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في «الوعي» دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل «الوعي» إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها وإلا فعلى الكاتب ذكر المصدر.
- لـ «الوعي» حق تصحيح المواضيع المرسلة، وهي غير ملزمة بإعادة المواضيع التي لم تقبل للنشر.
- ترجو ترقيم جميع الآيات القرآنية ووضع خط تحتها وتحت الأحاديث النبوية الواردة في المقالات وتخريجها.
- جميع المراسلات ترسل إلى عنوان المجلة في ألمانيا.

عناوين المراسلين

ألمانيا
N. Abdallah
Postfach: 301513
D 10749 Berlin
Germany

أستراليا
AL - WAIE
P.O.Box 384
Punchbowl 2196
NSW - Australia

England
Al-Waie
Suite 298
56 Gloucester Rd
London SW7 4UB

الدانمرك
AL - WAIE
P.O.Box 1286
2300 KBH. S
Danmark

Canada : كندا
AL - WAIE
2376 Eglinton Ave. East
P.O.Box # 44553
Scarborough, ONT. M1K 2PO

عنوان «الوعي» على الإنترنت
www.al-waie.org

اليمن
جعبل أحمد عبد الله
P.O Box: 11056
Sanaa - Yemen

النمسا
S. HASSAN
P.O.Box 82
A - 1127 WIEN
Austria (Vienna)

أميركا U.S.A
AL - WAIE
P.O.Box 370782
MILWAUKEE, WI. 53237

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الوعي

الخلافةَ ... الخلافةَ، أعيدوها أيها المسلمون

في ٣ آذار سنة ١٩٢٤م، هدمت الخلافة الإسلامية على يد اليهودي المتمسلم مصطفى كمال، عميل الإنكليز وصنيعتهم، وحلت الطامة الكبرى على المسلمين، وفتح باب المصائب والبلايا عليهم من كل جانب، وسيم المسلمون العذاب في مختلف البلاد التي تقاسمتهم واستضعفتهم وأعملت المجازر والتشريد بهم... وبعد هدم الخلافة جزئت دولة المسلمين وتحطمت وحدتهم وذهبت قوتهم، وأصبحوا مطمع كل لئيم، وغاض حكم الله عن الأرض، وغاب العدل والخير وانحسر المعروف وفي المقابل ساد الكفر وانتشر الظلم والشر والمنكر... ذلك أن سقوط الخلافة يعني انفلات الحزام الذي يجمع المسلمين في شتى أقطار العالم، وانهيار الكيان السياسي الذي يوحد المسلمين جميعهم ـ وهم اليوم ربع سكان الكرة الأرضية تقريباً ـ تحت راية واحدة، مع ما يلحق ذلك من انحسار للحق وانتشار للباطل.

وإننا نجد ارتباطاً واضحاً بين هدم الخلافة الإسلامية وبين ضياع فلسطين، وقيام كيان يهود عليها. فدولة المسخ هذه لم تكن لتوجد لو كانت الخلافة قائمة، وكلنا يعرف موقف الخلافة الإسلامية زمن العثمانيين، وهي في أشد حالاتها ضعفاً، وكلنا يذكر قولة السلطان عبد الحميد الثاني عن فلسطين عندما ردّ الوفد اليهودي الذي جاء يفاوضه من أجل بيع فلسطين لهم فقال: «إني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين. فهي ليست ملك يميني... بل ملك الأمة الإسلامية... وإذا مزقت دولة الخلافة يوماً فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن» وهذا فعلاً ما حدث ففلسطين ضاعت بعد هدم الخلافة ولن يعيدها من جديد إلا دولة الخلافة وأن يهود لن يقاتلهم ويقتلهم إلا مسلمون، عباد لله، يحقق الله سبحانه فيهم ما تأذّن به من أنه سيرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب، وأنه لن يحجبهم من المسلمين حجر ولا شجر.

إن الغرب الكافر هو الذي هدم الخلافة وليس يهود، فيهود أضعف من أن يتمكنوا من فعل ذلك بأنفسهم، ولكن حقد اليهود على المسلمين وكيدهم ومكرهم وقبولهم بأن يكونوا رأس حربة لهذا الغرب الكافر، ورضاهم بأن يكونوا جزءاً من خطته في ضرب المسلمين وإسقاط دولتهم هو الذي جعل اليهود والنصارى ﴿بعضهم أولياء بعض﴾... فالغرب الكافر هو الذي مكّن لليهود، وكان حبله هو الذي يمدهم بالحياة والقوة والاستمرار.

إن الغرب الرأسمالي المستعمر الكافر إنما لعب لعبته وضرب ضربته لأنه يعلم أنه لن تقوم له قائمة إذا لم يقضِ على الخلافة. وبما أن الغرب صاحب مصلحة مستمرة في بلادنا، ولأن بلاد المسلمين تنعم بخيرات وفيرة وكنوز دفينة وثروات هائلة كانت مصلحته تقضي بأن لا تقوم للإسلام خلافته. ولأن المبدأ الإسلامي مبدأ عالمي بعقيدته وأنظمته فإنه يشكل في نظر الغرب خطراً حضارياً عليه وتهديداً حقيقياً له، لذلك وحفاظاً على مبدئه وحضارته كان حريصاً على هدم الخلافة...

لذلك عمل الغرب، وما زال يعمل بالوسائل والأساليب نفسها، وإن اختلفت بعض التفاصيل.

إن الأدوات التي استخدمها الغرب لضرب الإسلام وهدم خلافته ما زالت تعمل، والأساليب التي اتبعها ما زالت تتّبع، ولكن تغيّرت الوجوه وتقدم الخطاب وتطور الكيد. وبما أن المسلمين بدأوا يثوبون إلى دينهم ويصحون على واقعهم... فقد أصبحت هذه الأدوات والأساليب غير فاعلة، وغير مؤثرة، وأصبحت معزولة، وأصبح وضعها شبيهاً بوضع الأنظمة المهترئة وصارت بانتظار السقوط، وسقوطها مرهون بإقامة الخلافة الإسلامية لأن تلك الأنظمة قائمة بقوة غير ذاتية، ولا تتمتع بتأييد شعبي بل مفروضة فرضاً من الغرب الذي يمسك بزمام الأمور. نعم، لقد بدأت الأمور تتبدل، فلم تعد القومية ولا الوطنية، ولا الديمقراطية ولا طريقة العيش الغربية تستهوي المسلمين بالرغم من كل وسائل الإعلام والفضائيات التي يسخرونها لمصلحتهم، ولم تعد الأحزاب والجمعيات، ولا من يسمون أنفسهم بالمثقفين يحظون بأية شعبية بل صارت معزولة عن الأمة منكفئة، تنعق كالبوم للخراب، ولم تعد فتاوى علماء السلاطين، تنطلي على المسلمين كما كانت من قبل. وصارت وحدة المسلمين مطلبهم، وعودة الحياة الإسلامية مسعاهم، وصار الحكام لعنة كل لسان لأنهم سبب استمرار الفساد والظلم وكل بلاء عليهم، حتى مشاكل المسلمين في الشيشان وكشمير، والفلبين، والصين، والبوسنة، وكوسوفا... وما أكثرها. وهي مرشحة للمزيد، فإنها بانتظار حلها عن طريق إقامة الخلافة الإسلامية.

إن وعي الأمة على هذه وعودتها إلى دينها، وتحققها من أن الغرب هو المريض، وهو الذي يحتاج لمن يداويه، هو من مبشرات هذا الدين لهذه الأيام. وإنه كما استقبل العالم الإسلامي نبأ إلغاء الخلافة الإسلامية، وسقوط التاج عن رؤوسهم، وهدم البنيان الذي كان يؤويهم، بألم وحزن؛ فإنه الآن ينتظر، والحمد والمنة والفضل لله وحده، استقبال أسعد خبر له في حياته، وهو إقامة دولة الخلافة من جديد، واستئناف الحياة الإسلامية من جديد، والاستظلال بظلها والتنعم بخيرها، والعيش بعزها، وأخذ الدور من جديد في قيادة العالم قيادة تنجيه من الشقاء الذي هو فيه.

لقد أسعد الله سبحانه وتعالى المسلمين من قبل بأسعد خبر عندما أذن بإقامة دولة الإسلام على يد أحب الخلق إليه سيدنا محمد ﷺ، نبي الرحمة والملحمة، مع أصحابه من المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم... وإن المسلمين المخلصين الواعين اليوم يأملون من الله سبحانه أن يكرمهم بأكرم خبر وأسعده بإقامة الخلافة الإسلامية من جديد.

إن تاريخ ٣ آذار سنة ١٩٢٤م يجب أن يمحى وتمحى كل آثاره من حياة المسلمين. فالأمم الحية هي التي تعمل على تسجيل أيام العز، لا تسجيل أيام الذل والقهر، وهي إن احتفظت بهذا التاريخ في ذاكرتها فلكي تمحوه لا لتخلّده... ولكي تنطلق منه لإيجاد تاريخ جديد لعودة الخلافة من جديد بإذن الله.

لقد شاء الله سبحانه أن نعيش في مرحلة أحب عمل فيها إلى الله هو العمل لإقامة الخلافة، لإقامة الدين، فلتشحذ الهمم لهذا الهم، وهنيئاً لمن أسهم في هذا الفرض. قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون﴾ □

كيفية إيجاد الشخصية القوية المؤثرة

كما أن الإنسان يولد ولديه قابلية التأثر فان لديه أيضا قابلية القدرة على التأثير. ولكن هذه القدرة يملكها الإنسان إذا ملك فكراً وعمل على جعل فكره يسيطر على أفكار الآخرين.

فيصبح حينئذٍ شخصاً مؤثراً. والفكر القوي هو الفكر العميق وهو الأقرب إلى الصحة وإلى إقناع الناس. ولكن الفكر الأقوى منه وما بعده فكر أقوى منه هو الفكر المستنير وهو الفكر الصحيح. فالذي يملك فكراً عميقاً أو فكراً مستنيرا يؤثر في الناس والذي لا يملك فكراً عميقاً أو مستنيراً يكون سطحياً ولكنه يلجأ إلى أساليب خداعه للتأثير على الناس مثل الكذب والاحتيال والخداع والغش وشراء الذمم بالمال واستعمال القوة والبطش لإخضاع الناس لإرادته وإثارة القبلية والعشائرية.

ونرى الإنسان منذ ولادته وهو يتأثر ببيئته لأنه يكون حينئذ عديم الفكر ويقتبس كل شئ من بيئته. ولكنه عندما عند ما يصل إلى سن البلوغ يبدأ بالتفكير وتتكون لديه القدرة على التفكير وإعطاء الرأي واتخاذ القرار. والشخص الذي يفرض رأيه أو فكره على الآخرين ويتصدى للأفكار والآراء الأخرى ولضغط الآخرين ويصر على رأيه وفكره مهما لاقى من رد وصد ومقاومة وضغط فإنه يكون شخصا قويا وبعبارة أخرى شخصية قوية. فنريد أن نبحث هنا كيفية تقوية الشخصية وكيفية إيجاد الشخصية القوية والمؤثرة. فحتى نتمكن من بحث ذلك لا بد لنا من معرفة معنى الشخصية. إن الشخصية، حسب تعريفها الصحيح، هي الكيفية التي يجري عليها عقل الشيء والكيفية التي يجري عليها إشباع الحاجات العضوية والغرائز. فهي مكونة من عقلية وهي الكيفية التي يجري عليها عقل الشيء أو إدراكه ومن نفسية وهي الكيفية التي يجري عليها إشباع الحاجات العضوية والغرائز. فالعقلية أي كيفية إدراك الشيء تتم بربط المعلومات بالواقع أو الواقع بالمعلومات وإسنادها إلى قاعدة أو إلى عدة قواعد. فمعنى ربط المعلومات بالواقع هو أن يكون لدى الإنسان معلومات عن واقع ما وعندما يحس بهذا الواقع يربط هذه المعلومات بهذا الواقع حتى يفهمه، ومعنى ربط الواقع بالمعلومات هو أن الإنسان عندما يحس بواقع ما يحتاج إلى معلومات فيبحث عنها ويربطها بهذا الواقع ومن ثم يسندها إلى قاعدة أو إلى عدة قواعد فعندئذٍ يحكم على الواقع فيعطي رأيا فيه ويتخذ قرارا بقبوله أو رفضه فيكون بذلك صاحب عقلية معينة. وإذا كانت القاعدة الفكرية التي يستند إليها هي العقيدة الإسلامية فإنه يكون ذا عقلية إسلامية فيحكم على الأشياء ويعطي رأيا ويتخذ قرارا من زاوية العقيدة الإسلامية أي يستخدم المفاهيم الإسلامية المنبثقة من هذه العقيدة. وعندئذٍ يكون مؤثرا لحد ما ولكن كلما قويت عقليته زاد تأثيره وقوي، وقل تأثره بما عند الآخرين. ولنتناول الآن كيفية تقوية العقلية. إن هذه الكيفية تتم بالأمور التالية:

١ــ التزود بالثقافة والمعلومات عن طريق القراءة وعن طريق وسائل كسب المعلومات المختلفة. ويلحق بها أخذ الدروس عن طريق التلقي الفكري أي بإنزال الأفكار على الوقائع.

٢ــ التفكير بالوقائع ومواصلة ربطها بالمعلومات وإدامة قياسها بالعقيدة.

٣ــ النقاش والجدال مع الآخرين بالوقائع وربط المعلومات بها وإسنادها إلى العقيدة.

٤ـ الخطابة والمحاضرة؛ فالخطيب أو المحاضر يربط المعلومات بالوقائع ويسندها أيضا إلى العقيدة. ويلحق بذلك التدريس عن طريق إعطاء الأفكار منزلة على الوقائع.

ـ الكتابة؛ فالذي يحاول أن يكتب موضوعا عن واقع ما يلجأ إلى القراءة والبحث والتنقيب والتفكير حتى يحصل على معلومات ليربطها بالواقع ومن ثم يسندها إلى العقيدة ويلحق بذلك تسجيل الأشرطة وما شابه ذلك من وسائل حديثة.

فإذا كون المسلم لديه عقلية إسلامية بجعل العقيدة الإسلامية أساساً لفهم الأشياء والوقائع ولكنه لم يسع لتقويتها بهذه الأمور، فإنه تكون لديه عقلية إسلامية ولكن لا تكون هذه العقلية قوية. فعلى صاحب العقلية الإسلامية أن يعمل على تقوية عقليته وخاصة حامل الدعوة لأنه يتصدر الأمة للدفاع عن قضاياها وللتصدي لأعدائها ولحل مشاكلها وللرقي بها وبالتالي يعمل على قيادتها، فإن لم يكن صاحب عقلية قوية فلن يتمكن من ذلك، فمن يحمل الدعوة بحق فإن عقليته ستكون قوية بشكل آلي لأنه يقوم بالنقاش والجدال لإقناع الآخرين بصحة رأيه حتى يتمكن من قيادتهم ولإدحاض الآراء المخالفة لرأيه والأفكار المضادة لأفكاره ويضطر للمراجعة والبحث والتدقيق أكثر وأكثر في المصادر والمراجع ويتابع الأحداث ويدرس الوقائع حتى يحكم عليها من زاوية عقيدته ويحاول مخاطبة الجماهير حتى يوجد رأيا عاما لأفكاره وآرائه ويقوم بالكتابة بكافة وسائل النشر. فبذلك تصبح عقلية حامل الدعوة قوية. وبعد ذلك يعمل بجد واجتهاد واهتمام لتصبح عقليته عقلية مبدعة حتى يصير رجل دولة وقائد أمة، لأن من يحمل هذه الصفة يكون لديه شعور فائق بالمسؤولية ويتمتع بعقلية مبدعة في حل المشاكل والتعقيدات ويقنع الناس بالسير معه لتطبيق هذه الحلول ويرسم الخطط ويضع الأساليب لذلك.

ويأتي سؤال عن دور الذكاء في بناء العقلية وفي تقويتها، والجواب على ذلك هو: إن معنى الذكاء هو "سرعة الإحساس وسرعة الربط"؛ فسرعة الإحساس تعني سرعة نقل الواقع إلى الدماغ بواسطة الحواس، وسرعة الربط هي سرعة ربط المعلومات بالواقع. فالذكاء يفيد في سرعة بناء العقلية وفي تقويتها، لأن صاحبه يتمكن من نقل الواقع بواسطة حواسه بسرعة ويربط المعلومات بهذا الواقع بسرعة. فأعلى الناس درجة في الذكاء يدرك الأمور والأشياء ويفهم النصوص أو يحفظها من مرة واحدة، والأقل ذكاء يحتاج إلى أكثر من مرة، وكلما قل ذكاء الشخص احتاج إلى مرات أكثر حتى يدرك الأمور والأشياء ويفهمها أو يحفظها. وبإمكان الشخص أن يطور ذكاءه؛ وذلك بالمراس وبمحاولة تعويد نفسه على سرعة التفكير، فيتخلى عن البطء في نقل الواقع إلى الدماغ بواسطة حواسه وعن البطء في ربط المعلومات بالواقع مع العمل على حصر الذهن فيما يفكر به. فتشتت الذهن يؤخر إدراك الأمور والأشياء ويؤخر فهم النصوص أو حفظها. وسرعة التفكير هذه توجد سرعة البديهة وسرعة الملاحظة، ويفيد ذلك في النقاش والحوار والخطابة والمحاضرة وفي الكفاح السياسي. وسرعة التفكير لا تتعارض مع التفكير العميق والتفكير المستنير. فالشخص وهو يربط المعلومات بالواقع يتعمق بهذا الواقع وبدقائقه بسرعة، وكذلك ينظر إلى ما يتعلق بهذا الواقع وما حوله بسرعة حتى يتوصل إلى الحقيقة. فالذكاء وسرعة البديهة وسرعة الملاحظة والتفكير العميق والتفكير المستنير تجعل صاحب العقلية الإسلامية يتبوأ مقاعد أعلى وتؤهله للقيادة.

هذا بالنسبة للشق الأول من الشخصية. وأما الشق الثاني منها فهو النفسية وهي الكيفية التي يجري عليها إشباع الغرائز والحاجات العضوية.

وهذه الكيفية تتم بربط دوافع الإشباع بالمفاهيم، وتسمى الميول وهي عينها النفسية. فالطاقة الحيوية عند الإنسان تدفعه لإشباع غرائزه وحاجاته العضوية، وهذه موجودة عند الحيوان أيضا. فالحيوان يندفع لإشباع غرائزه وحاجاته

العضوية بدون مفاهيم، لأنه فاقد العقل. وكذلك الإنسان عندما لا يندفع للإشباع حسب مفاهيم معينة أو عندما لا يملك مفاهيم معينة فإنه يندفع للإشباع كالحيوان. فتصرفات الإنسان إما أن تكون نتيجة مفاهيم معينة، وإما أن تكون نتيجة اندفاع حيواني.

وكما نعلم فإن الغرائز ثلاث وهي: غريزة البقاء، وغريزة النوع، وغريزة التدين. ولها مظاهر كثيرة. فمن مظاهر غريزة البقاء: حب التملك، والدفاع عن النفس، وحب السيادة، وحب الظهور، ومظهر القطيع، وحب الاستطلاع، والميل لإقامة علاقة مع الغير، والخوف، وحب أن يكون حراً وطليقاً، وحب إثبات الذات، وحب ترجيح النفس على الغير أي الأثرة، والميل لتفضيل الغير على النفس أي الإيثار، والميل لمساعدة الغير. ومن مظاهر غريزة النوع: الميل الجنسي، والأبوة، والأمومة، وحب الأقارب، وحب الأطفال. وأما غريزة التدين فمن مظاهرها: العبادة، والتقديس، والتعظيم، والخنوع، والخشوع. ونفهم مظاهر غريزة التدين من تعريفها؛ وهو الشعور بالعجز والاحتياج للخالق المدبر. والحاجات العضوية هي الجوع، والعطش، والتنفس، والإخراج. وهناك أمثلة كثيرة تتعلق بمظاهر الغرائز قد وردت في القرآن الكريم؛ فنرى القرآن الكريم يعالجها ببيان أحكامها وبتقوية الصلة بالله وبالوعد والوعيد وبالترغيب والترهيب، فيذكر الناس بما وعدهم الله من جنة ونعيم، ويتوعد الذين يخالفون أمره عند إشباع الغرائز والحاجات العضوية بالعذاب والنار.

وتقوية الصلة بالله تتحقق بالتفكير بما وعد الله وربط ذلك عند إشباع الحاجات العضوية والغرائز، وبتذكر ذلك دائما، ويتحقق ذلك أيضا بالاستزادة من العبادات؛ وذلك بالقيام بالسنن والنوافل فوق الواجبات، وكذلك بالإكثار من قراءة القرآن ومن تدبره والتفكر في آياته وتذكرها دائما، وبقراءة سيرة النبي ﷺ من ثبات وصبر وإيثار وزهد بالحياة الدنيا وبتحد للكافرين وعدم خوف منهم وتحمل الأذى في سبيل الدعوة، وكذلك بقراءة حياة الصحابة رضوان الله عليهم وكيف صبروا على الأذى في سبيل الدعوة وضحوا بأموالهم وأنفسهم في سبيلها، وكانوا لا يبخلون عليها بشيء، ويصدقون الله في اللقاء، ويؤثرون الرسول والدعوة والمسلمين على أنفسهم، فاستحقوا رضوان الله وغفرانه لهم ومدحه لهم في كثير من المواقع. والتشبث بحمل الدعوة والقيام بأعمالها أكثر وأكثر يقوي الصلة بالله، لأن حامل الدعوة يدعو الناس إلى عبادة الله واتباع أوامره والانتهاء عن نواهيه وتحكيم شرعه ومحاربة أعدائه، فكل ذلك يوجد الإنسان دائما في جو إيماني؛ فهو دائما يتذكر الآيات ويذكر الناس بها، فهذا يثير في نفسه الإيمان. ونرى الشخص الذي يحمل الدعوة أو يتركها تضعف نفسيته، فينشغل كباقي الناس في أمور دنياه. وبالتالي تصبح نفسيته ضعيفة، وإذا بقي عنده شيء من الأفكار فإنه سيجترها اجتراراً فلا يستطيع أن يلتزم بها ولا يلزم غيره بها لأن نفسيته أصبحت ضعيفة.

وقوة الصلة بالله معناها قوة الإيمان. فالإيمان بالله وبما أنزل وبما أرسل هو التصديق الجازم بذلك عن دليل مع مطابقته للواقع. فيتحدث القرآن الكريم عن زيادة الإيمان وترد بمعنى قوة الإيمان. فالإيمان لا يزيد ولا ينقص من حيث التصديق الجازم، لأن التصديق الجازم إذا نقص يكون معناه دخول الشك والريب إليه وهذا كفر. فمن يصدق تصديقا جازما مطابقا للواقع عن دليل فهو مؤمن ولكن زيادة إيمانه تكون بقوة الصلة بالله التي تحدثنا عنها، فيقول تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (آل عمران ١٧٣) أي قويت صلتهم بالله بتذكرهم بأن الله كافيهم وأنه هو القادر والناصر والنافع والضار ولا يصيبهم إلا ما كتب الله لهم. وكذلك تكرر موقف المؤمنين هذا في حصار الخندق حيث قال تعالى وهو يصف قوة صلة المؤمنين به: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا

إيماناً وتسليماً﴾ (الأحزاب ٢٢). ويمن الله عليهم في حادثة الحديبية عندما أنزل السكينة عليهم لأنهم صدقوا الله وقويت صلتهم به بقوله: ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ أي ليزدادوا صلة به مع وجود إيمانهم به، وذلك بتذكرهم بأن لله جنود السماوات والأرض وثقتهم بأن الله ناصرهم. ويقول في آية أخرى وهو يتحدث عن الصلة بالله بأنها تقوى بذكره وبقراءة القرآن أو الاستماع إليه ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وَجِلَتْ قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون﴾ (الأنفال ٢). ويقول عن الكافرين والمنافقين بأن القرآن لا يزيدهم إيماناً لأنهم ليسوا مؤمنين بالقرآن أصلا: ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ۞ وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون﴾ (التوبة ١٢٤ــ١٢٥) فالآيات تذكر بالصلة بالله فتزيد المؤمنين إيماناً وصلة بالله وثقة بوعده، ولكن الذين لا يؤمنون بالآيات يزيد كفرهم وعنادهم كلما سمعوا الآيات تتلى عليهم لعدم إيمانهم بالأصل.

فمن هنا نستنتج بشكل واضح أن زيادة الإيمان هي قوة الصلة بالله، وهي التي توجد النفسية القوية. فالنفسية تقوى بتقوية صلة العبد بربه فيلتزم بالحلال والحرام عند إشباع غرائزه وحاجاته العضوية ويستعد للتضحية بغرائزه وحاجاته العضوية في سبيل الله وفي سبيل الدعوة ويسترخص تلك الغرائز والحاجات العضوية ويستعد للتخلي عن إشباعها إلا ما يبقيه على قيد الحياة ويستعد للتضحية بنفسه وبماله في سبيل الدعوة ويتحمل الأذى والتعذيب والتشريد والسجن في سبيلها. ولكن إذا ضعفت صلته بالله أي ضعف إيمانه تضعف نفسيته وتقل تضحيته ويبخل على الدعوة بنفسه وبماله لأنه حينئذٍ يؤثر إشباع غرائزه وحاجاته العضوية ويريد أن يشبعها أكثر وأكثر بحيث يصل إلى إنسان لا يشبع والعياذ بالله.

ومراعاة سلم القيم والأولويات يكون حسب قوة النفسية. فصاحب النفسية القوية يجعل الله ورسوله والجهاد في سبيله وحمل الدعوة وأعمالها الجزئية من اتصالات مع الأفراد لكسبهم أو مع الجماهير لتوعيتهم ولكسب تأييدهم ومن توزيع النشرات وما يصدر من كتب وكتيبات ومجلات لتوعية الناس ومن بذل المال بسخاء أكثر مما ينفقه على ملذاته وإشباعاته الزائدة. فصاحب النفسية القوية لا يمكن أن يجعل نفسه أو زوجته أو أولاده أو أقاربه أو ماله أو تجارته أو عمله فوق أعمال الدعوة فمن يفعل ذلك فمعنى ذلك أن نفسيته ضعيفة. وعليه أن يعمل على تقويتها بتقوية الصلة بالله، ويلزم لهذه التقوية بلورة المفاهيم المنبثقة عن العقيدة. فالمفاهيم هي الأفكار المتصوَّر واقعها والمدرَك معناها والمصدَّق بها. فعلى هذا الشخص أن يعمل على تصور وقائع هذه الأفكار ويحاول أن يدرك معانيها بشكل أدق وأعمق وأن يعمل على تقوية تصديقه بها؛ وذلك عن طريق مطابقتها للواقع والتعمق في أدلتها. فعبد الله بن رواحه في مؤتة تردد في الإقدام لحدوث ضعف طارئ على نفسيته عندما خاف على نفسه بعدما رأى الموت ولكنه عالج هذا الخلل الطارئ بمحاولة تصور الأفكار في الواقع عندما تذكر بأن سبب الموت هو انتهاء الأجل فتذكر بأن النفس إن لم تمت في ساحة الوغى فإنها ستموت على الفراش فأقدم وأزال التخوف المتعلق بغريزة البقاء. والمسلمون عندما فروا في حنين ذكرهم الرسول بأنه هو النبي لا كذب، وذكرهم العباس عمه ببيعتهم لنبيهم فتذكروا المفاهيم التي آمنوا بها من قبل وأعطوا المواثيق لرسول الله بناء عليها. ولهذا فإن التذكير بالمفاهيم وبالمواثيق والالتزامات تنفع من تركزت عنده هذه المفاهيم ولكنه غفل عنها لظرف ما ولهذا قال تعالى: ﴿وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ (الذريات ٥٦).

فالغرائز أجزاء من ماهية الإنسان فكل غريزة أصل ولها أشكال تظهر بها فتسمى مظاهر غريزية

وهي التي عددنا قسماً منها. والحاجات العضوية أصل في الإنسان وبدونها يموت الإنسان. فإذا وجدت لدى الإنسان مفاهيم منبثقة عن وجهة النظر في الحياة أي عن العقيدة وربط هذه المفاهيم بمظاهر الغريزة أو بالحاجات العضوية تتكون لديه نفسية معينة. وعندما تكون وجهة النظر هي العقيدة الإسلامية والمفاهيم نابعة من هذه العقيدة عند الإشباع تتكون لدى الإنسان نفسية إسلامية. وعندما يلتزم الإنسان بالمفاهيم هذه ويصر عليها ولا يتنازل عنها تتكون لديه نفسية قوية وعندئذٍ تكون إرادته قويه يستطيع أن يفعل ما يشاء ويصر على ما يشاء وينفذ ما يشاء ويتحدى الآخرين ويصبر على أذاهم ويقاوم ضغوطهم ويتغلب عليها بل يخضعهم لإرادته. فمثلاً يوجد عند الإنسان حب التملك فيريد أن يتملك بيتاً أو شيئاً آخر فتأتيه إغراءات لأن يحصل عليه بالربا أو أن يحصل عليه من منح الدولة له مقابل تنازله عن دعوته أو من كنيسة حتى يتنازل عن دينه فإذا قاوم الإنسان هذه الإغراءات ورفضها لأن مفاهيمه تحرم عليه كل ذلك وحرم نفسه من البيت ولو عاش في كوخ ولا يتنازل عن دعوته أو عن دينه، فيكون هذا الشخص صاحب نفسية قوية، ونقول بأن لديه إرادة قوية. وهكذا الأمر في كافة مظاهر الغرائز والحاجات العضوية عندما يلتزم المسلم بمفاهيم الإسلام ولا يتنازل عنها فإنه يكون صاحب نفسية إسلامية قوية. ومثلاً يحب الإنسان أن يبقى على قيد الحياة فإذا هدده النظام بالموت أو بالأذى الشديد وهو يحب أن يحافظ على نفسه من الأذى وهذا مظهر غريزي أو هدده بالسجن وهو يحب أن يبقى طليقا فإذا أحب الله وأحب لقاءه وأحب ما وعده الله في الآخرة أكثر من حبه لنفسه وأكثر من حبه للحرية ومن هذه الدنيا القصيرة لأنه سيكون سعيداً في الآخرة فإنه سيثبت أمام الظالمين ولا يتنازل عن دعوته حتى الموت. وكذلك فان الإنسان يحب المال والملك فإذا هدده النظام بمصادرة أمواله وأملاكه إن لم يتنازل عن الدعوة فصاحب النفسية القوية لا يتنازل عن دعوته ويترك ماله وملكه في سبيل دعوته كما فعل صهيب ﷺ. أو أن الإنسان يحب المال والدعوة تطلب منه أن يؤثرها على نفسه فهل يجود أم يبخل على الدعوة؟ فكلما كانت صلته بالله أقوى كان إنفاقه على الدعوة أكثر، ولهذا كان إنفاق أبي بكر ﷺ على الدعوة أكثر من غيره. والإنسان يحب أمه أو أباه أو أولاده أو زوجته وهي مظاهر غريزية فمصعب بن عمير ﷺ رجح الدعوة على أمه وعلى نعيم الدنيا، وكذلك سعد بن أبي وقاص ﷺ رجح الدعوة على أمه لأن صلتهما بالله كانت قوية، ولكن البعض ضعف أمام زوجته وأمام أولاده فلم يهاجروا ولم يذهبوا إلى الجهاد فنزل فيهم قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ (التغابن ١٤). ولخص القرآن الكريم كل ذلك فيما يتعلق بالنفسية وقوتها وضعفها بهذه الآية الكريمة: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (التوبة ٢٤). ونرى المؤمنين الذين كانت صلتهم بالله قوية قد ثبتوا وتجاوزا الخوف من الأعداء لأنهم علموا أن الله كافيهم وهو على كل شي قدير؛ فيقول الحق تعالى في حقهم: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ (آل عمران ١٧٣) إلى أن يقول: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران ١٧٥). فعالج مظهر الخوف بالإيمان وبتقوية الصلة بالله. فمن يؤمن بأن الأجل محدود قد حدده الله ولا يمكن لأية قوة أن تقضي على الإنسان قبل أن يأتي أجله، وأن الرزق محدود قد حدده الله ولا يمكن لأحد أن ينقص من رزق الآخر مقدار قطمير، وأن النافع والضار هو الله ولا يمكن لأية قوة أن تنفع أو تضر إلا بإذن الله، فالذي يعلم ذلك علم اليقين ينزع من نفسه الخوف فيثبت أمام

الأعداء وأمام الظالمين والطغاة، فلهذا السبب يقول رب العالمين: ﴿فلا تخافوهم وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾.

وفيما يتعلق بالإيثار يقول رب العالمين في الأنصار: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر ٩). فالإيثار يحصل عندما تكون الصلة بالله قوية وشح النفس والبخل آتيان من ضعف الصلة بالله ولهذا قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ أي إن في النفس قابلية الشح أي الأثرة كما أن فيها قابلية الإيثار كما قال تعالى في بداية الآية: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ فبين في هذه الآية مظهرين من مظاهر غريزة البقاء وبين علاج المظهر السلبي منهما وهو الأثرة بمدح من يقي نفسه من الشح أي من الأثرة بأنه هو المفلح أي بأنه هو الفائز بالجنة. وهدد البخلاء بالزوال فقال: ﴿ها أنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ (محمد ٣٨).

وشيء آخر يقوي النفسية وهو ضرب الأمثلة من الشخصيات الإسلامية القوية؛ ابتداءً من سيد الأنام والمرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد ﷺ لأنه قدوة لنا ومن الصحابة الكرام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ومروراً بالتابعين وتابعي التابعين، وانتهاءً بالأبطال العظام عبر تاريخ الإسلام إلى يومنا هذا، ومنهم حملة الدعوة المعاصرين الثابتين الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل الدعوة ولاقوا الأمرين وكافة صنوف التعذيب والإيذاء وصبروا ولم يبدلوا تبديلاً. فالله سبحانه وتعالى كان يُذكر رسوله بثبات الرسل السابقين ويضرب أمثلة على ثباتهم ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك﴾ (هود ١٢٠) وكان يُذكر المؤمنين بالمؤمنين السابقين الذين ثَبَتُوا وضحوا مثل أصحاب الأخدود.

وغيرهم من المؤمنين الذين آمنوا مع الرسل وثبتوا على دعوة الحق فأخبرنا الله بهم قائلاً: ﴿وكأين من نبيٍّ قاتل معه ربِّيُّونَ كثيرٌ فما وَهَنُوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضَعُفُوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ۞ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربَّنا اغفرْ لنا ذُنوبَنا وإسرافنا في أمرنا وثبِّتْ أقدامَنا وانصرْنا على القوم الكافرين ۞ فآتاهم الله ثوابَ الدنيا وحُسْنَ ثوابِ الآخرة والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران ١٤٦ــ١٤٨). فبهذا الإيمان والثبات والصبر وبهذه التضحية نال هؤلاء المؤمنون السعادة في الدنيا وفي الآخرة. ونرى المتخاذلين والذين لا يصبرون ولا يثبتون نراهم يَشْقَوْن ويتعسون ويرضوْن بل يفضلون العيش في الذل والهوان ويخدعون أنفسهم بمعاذير يختلقونها فرضُوا بأن يكونوا مع الخوالف وانغمسوا في أمور المال والأولاد والأزواج. وأريد أن أشير إلى نقطة أخيرة تتعلق بهذا الموضوع هي أن انشغال الإنسان بأمور دنيوية أخرى بحيث تجعله يشغل ذهنه ووقته بها تضعف شخصيته، وكذلك حبه لأشياء أخرى أكثر من الدعوة تضعف شخصيته وكلما ازداد الشاب حباً لدعوته انشغل بها أكثر وأقبل بشغف على دراسة الأفكار والتعمق بها وعمل على تقوية عقليته بالطرق التي ذكرناها. وكلما ازداد طموحه لأن يكون قائداً لامته وكلما ازداد شعوره بالمسؤولية ازداد حيوية ونشاطاً وتضحية وبذلاً وعطاءً وترفعت نفسه عن الشهوات والملذات وحب الدنيا ومتاعها الزائل فقاده هذا الطموح إلى تقوية نفسيته.

وبهذا الشكل يصبح الشاب شخصية قوية مؤثرة ولكن يبقى صاحب الشخصية الضعيفة شخص متأثر يسير مع التيار الجارف أحياناً، ويتوقف أحياناً فيعزل نفسه عن الأحداث ولا يقوم بقاوم التيار ولا يعمل على إثبات رأيه والتصدي لآراء الآخرين. وبعد، فهل يجوز للشاب بعدما أدرك كل ذلك وأدرك فرض حمل الدعوة بل أدرك فرض قيادة الناس بالإسلام أن يترك الساحة ويخلي الميدان لأشخاص تافهين سطحيين يتحكمون في أمر العامة ويقودونهم بالكذب والاحتيال وبالغش والخداع وبشراء الذمم بالمال وبإثارة النعرات الجاهلية والعصبيات ويكتفي هذا

الشاب بالقيام بأعمال قليلة من أعمال حمل الدعوة ويترك الصراع العنيد مع هؤلاء الطغاة تجنباً للسجن والملاحقة والمطاردة والتشريد والأذى والضرر وحفاظاً على ما هو زائل لا محالة من مال وبدن وأولاد وعيال؟ إن صاحب الشخصية القوية من حملة الدعوة يأبى إلا أن يكون مؤثراً ومصارعاً عنيداً للكفر وللطغيان ويصمد في الميدان السياسي وفي الصراع الفكري حتى يظهره الله بالحق الذي هو عليه أو يهلك دونه كما قال رسول الله ولا يضيره ما سيصيبه من أذىً وضرر ويعتبر ذلك طبيعياً سواء حمل الدعوة وصارع الطغاة أم قعد فإن ما سيصيبه سيصيبه لا مفر منه ولأن الله قال: ﴿أم حَسِبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يَأتكم مَثَلُ الذين خلوْا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلْزِلوا حتى يقول الرسولُ والذين ءامنوا معه متى نصرُ الله ألا إن نصرَ الله قريب﴾ (البقرة ٢١٤) أي إن نصر الله قريب بعد هذا البلاء وإن دخول الجنة يتحقق بعد هذا البلاء أيضاً. وكيف وصاحب هذه الدعوة يحمل فكراً عميقاً ومستنيراً وهو صاحب مبدأ صحيح ويحتم ذلك على حامله أن يكون شخصاً قوياً لا يخاف في الحق لومة لائم ولا يهاب جموع الناس من أن يصدع بالرأي الصائب، كيف يتحمل وجود الرويبضات وهي تنطق وتتكلم في أمر العامة فتقود المجتمع والدولة بالكذب والاحتيال وبالإرهاب وسفك الدماء؟ فصاحب الشخصية القوية يكون شعوره بالمسؤولية عن أمته قوياً وتكون تضحياته عظيمة ونشاطه فائقاً، فهو بحق شمعة تحترق لتضيء الطريق للناس وتبدد الظلام لا يلتفت إلى الآخرين عملوا أو قعدوا، فهو لا يرجو جزاءً ولا شكوراً من أحد من الناس، ولا يَمُنُّ عليهم بل إنه يعلم أن المنَّ لله وأنه ملاقٍ ربَّه يوم القيامة وأنه سيجزيه الجزاء الأوفى. وعندما يجعل الرحمن من صفات عباده الذين يقولون: ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ (الفرقان ٧٤) ففي ذلك إشارة للمؤمنين لأن يكونوا قادة الناس. فقمة التقوى أن تتصدى للظالمين وتقارعهم، فيقول إمام المتقين وقدوتهم محمد ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة حق تقال عند سلطان جائر». فالمتقي والذي يريد أن يكون إمام المتقين يكون السباق في كل عمل بر وتقوى وفي كل عمل صالح وفي كل فرض وواجب، فهو يسارع في الخيرات فيرعى شؤون الناس بالإسلام ويسهر على رعايتهم ويعمل على تحقيق مصالحهم ويتبنى قضاياهم ويذود عنهم ويقاتل دونهم ويحمي حماهم فهو يقوم بأعظم الأعمال. فالذي يقوم بحمل أعباء أية مسؤولية من مسؤوليات حمل الدعوة وتسيير شؤونها فهو أحد أئمة المتقين وهو أعظم درجة من الذين يتهربون من تحمل المسؤوليات ويكتفون بالقيام بأقل التكاليف وبأصغر الأدوار. فلا يقول أحد أنا لا أريد أن أكون رئيساً أو إنه لا يوجد عندي حب للرئاسة؛ فالمسألة ليست إشباعاً لأحد مظاهر غريزة البقاء ألا وهو حب السيادة وإنما المسألة هي القيام بفرض فرضه الله حبّاً لسيادة الإسلام وبغضاً لسيادة الكفر وتحكم الظالمين وكرهاً للتافهين الذين يتحكمون في أمر العامة ويقودونها إلى مهاوي الجحيم. فحرام علينا أن نتركهم وما يصنعون ولا نصارعهم ليل نهار ونقول لا نريد أن نتدخل في السياسة فهي كذب ودجل أو نتصنع تقوى زائفة ونحني رقابنا إلى جنب ونقول هذه أيام فتن يجب أن نبعد عنها. مع العلم أن الحق بائن والباطل بائن فيجب على المسلم أن يقف بجانب حملة راية الحق بقوة وأن ينصرهم. فلو كان هناك دولة إسلامية ويقودها مخلصون فإن قلتَ إن هؤلاء الرجال قد أدّوْا فرض الكفاية بقيادتهم الدولة والمجتمع ربما يقبل منك ذلك. ولكن يبقى فرض آخر وهو محاسبة هؤلاء القادة والحكام. فلنكنْ من الذين وعدهم الله بالاستخلاف والتمكين في الأرض ﴿وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليَستَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارتضى لهم وليُبَدِّلَنَّهُمْ من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ (النور ٥٥) ❑

أبو أسيد ـ ألمانيا

﴿إنَّ اللّـهَ لا يغيِّـرُ ما بقـومٍ حتى يغيِّـروا ما بأنفسـهم﴾

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يوشكُ أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلةُ إلى قصعتها فقال قائل: ومن قلّة نحن يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزَعَنَّ الله من صدور عدوِّكم المهابة منكم، وليقذفَنَّ الله في قلوبكم الوَهْن، فقال قائل: يا رسول اللهِ وما الوَهْنُ؟ قال حبُّ الدنيا وكراهية الموت» رواه أبو داود.

وها هو الكفر يتكالب على الأمة من كل جانب، وهي ترى ذلك، وتشعر بالظلم والقهر أكثر من أيِّ وقتٍ مضى. وكلُّ دول العالم تمعن في إذلال المسلمين وقهرهم والقبض على مقدراتهم، والسياساتُ المتبعة على كافة الصعد وبرامجُ الإعلام ومناهج التعليم تحارب الإسلام وتكيد له ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون﴾.

المسلمون يكرهون ما هم فيه، ويسألون الله تعالى تغيير الحال، وأن يبعث لهم قائداً يخلصهم مما هم فيه، ويقيم حُكم الله، ويعز الإسلام والمسلمين. ولكن، هل ينزل هذا القائد من السماء؟ هل يأتي بغير سعي وعمل ليقول: أنا الذي كنتم تنتظرونه، ولقد استجاب الله دعاءكم وأرسلني إليكم؟ كلا، فإن النتائجَ المرجوَّةَ مشروطة بالعمل لها، وبالإيمان. قال تعالى: ﴿إنَّ الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم﴾، وقال: ﴿إن تنصروا الله ينصركم﴾، وقال: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾.

إن الحكام هم البلاء، وهم سبب هذا الذل والشقاء. ولكنَّ هذا لا يعفي الناس من المسؤولية، ومن الإثم والحساب. فلا يجوز لهم السكوتُ على هذا البلاء، ولا أن يخافوا الحكام بدل أن يخافوا الله، وليس من الإيمان خشية الحكام وجلاوزتهم أكثر من خشية الله. قال تعالى: ﴿فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين﴾، وقال: ﴿أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين﴾.

والأمر مربوط بالإيمان، ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، الإيمان الذي يضعف ويضعف لتصبح الكثرة غثاءً كغثاء السيل، وليحل محله الوَهْن. فحب الدنيا وزينتها ولو أغضب الله والخوف من الموت والبلاء ولو في سبيل الله يؤديان إلى الجبن والعجز والذل والشقاء.

يقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم﴾. ولقد وقع الخطأ في فهم هذا النص عند كثيرين، فقصروا معنى ﴿يغيِّروا ما بأنفسهم﴾ على بعض أحكام العبادات كالصلاة وحضور الجماعات وقراءة القرآن...، وعلى التفقه أو العمل ببعض الأحكام.

إن معنى ﴿يغيِّروا ما بأنفسهم﴾ هو أن يلتزموا بكل ما أمر الله به وأن ينتهوا عن كل ما نهى الله عنه، وكلما يجب الالتزام بها، فكيف يُربط التغيير ببعض الأعمال ويُفصلُ عن غيرها؟ وكيف يُجعل الالتزامُ ببعض الأحكام طريقاً إلى تطبيقِ غيرها، وليس الالتزام بغيرها ـ مثلاً ـ طريقاً إلى تطبيقها؟ إنَّ هذا كله خطأ ترجع أسبابه إلى عدم فهم الإسلام، وإلى التضليل الذي رَوَّج لفصل الدين عن الحياة وعن السياسة وعن الدولة، وإلى تضليل علماء السلاطين وأضرابهم الذين يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً، وإلى

الجبن واليأس من ضعيفي الإيمان والذين في قلوبهم مرض.

إن الذي أمر بالصلاة أمر بإقامة الخلافة، والذي أمر بالصيام وبالزكاة أمر بالحكم بما أنزل الله وبوحدة الأمة، والذي أمر بالصدق والأمانة أمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والذي نهى عن الزنا والربا والسرقة نهى عن التحاكم إلى قوانين وأنظمة الكفر وعن طاعة أي مخلوق في معصية الخالق، والذي حرم الخمر والميسر حرم الحكم بغير ما أنزل الله وحرم السكوت عليه.

والتغيير الذي أمر به الله، يتناول كل عمل حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ولا يُغني أو يجزئ أيٌّ حكم عن حكم آخر. وكما لا تجزئ الصلاة عن الزكاة، ولا الزكاة عن الصيام، ولا قراءة القرآن عن غيرها من العمل الصالح، فكذلك لا يجزئ الالتزام بأي من هذه الأحكام عن حمل الدعوة لإزالة المنكرات وعلى رأسها منكرات الحكام، ولا عن إقامة الخلافة والحكم بما أنزل الله.

فالنص يقول: ﴿يغيروا ما بأنفسهم﴾ و(ما) من ألفاظ العموم، فلا يصح قصر تطبيق النص على بعض أفراده بغير دليل شرعي. ولا يصح التخصيص بغير مخصص. وإذا كان لا طاقة لهم بتغيير المنكرات أو بعضها، فوراً وحالاً، فعليهم أن يعملوا بجدٍّ من أجل تحصيل القدرة على ذلك والقيام بالتغيير، فالنص يقول: ﴿حتى يغيِّروا﴾، والتغيير قد يتم مباشرة وفي الحال، وقد يقتضي تخطيطاً وعملاً دؤوباً وصبراً وجمع الجهود وتحمل المشاق. ولا يجوز السكوت على المنكر وترك العمل لتغييره، فضلاً عن الرضى به، فالرضى به خروج من الإيمان، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم وغيره. والفهم الخطأ للتغيير يؤدي إلى ترك العمل لأجله، وعلى وجه الخصوص إلى ترك الأعمال التي من شأنها التغيير، ولن ينفع بعد ذلك دُعاء القاعدين. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليوشكنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» رواه الترمذي. وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون ۞ كانوا لا يتناهَوْن عن منكرٍ فعلوه لبِئسَ ما كانوا يفعلون﴾.

ومما ينبني على هذا الفهم الخطأ الاكتفاء بالقيام ببعض الأعمال، كبعض أعمال العبادات والأعمال الخيرية كإقامة مؤسسات أو جمعيات تقوم بتعليم الفقه والتفسير أو تحفيظ القرآن الكريم، أو تجمع المساعدات للمحتاجين، أو تقيم الخطب والدروس في بعض المناسبات أو غير ذلك من أعمال الخير والبر، حيث يَتوهَّمُ القائمون بهذه الأعمال أن هذا هو طريق التغيير، ويحاولون إقناع أنفسهم بذلك وأنهم بهذه الأعمال يقومون بواجبهم تجاه التغيير. وهذا خطأ. بل إن من هؤلاء من قد يأمر بمنكر أو يقوم به، وينهى عن واجب أو يمنع غيره من القيام به، بحجة المحافظة على ما يقوم به هو من أعمال، فيصبح التعرض لظلم الحكام ولأنظمة الكفر وقوانينه وسياساته خطاً أحمر عندهم. فترى من هؤلاء من يثني على الحاكم وعدله وإخلاصه مع علمه بكفره أو فجوره وظلمه، وتراه يدعو إلى انتخاب وتأييد من يحكم بغير ما أنزل الله، أو من يقوم بأعمال التشريع ولا يقيم للإسلام وزناً، مع علمه بحرمة ذلك ويجادل بالباطل ليُدْحِضَ به الحق، أو تراه يهنئ الكفار والفجار بمناصب يحاربون فيها الإسلام، أو يَؤُمُّ الناس ويدعوهم لصلاة الجنازة على كافرٍ من الحكام... أو تراه يمنع إلقاء درس أو دعوة حق في مؤسسته أو في المسجد أو حتى على باب مسجد له فيه صلاحية، توجُّساً وخيفةً من جواسيس الحكام. متذرعاً بما يتوهمه من عواقب وخيمة بنظره، أو بضرورة استمرار أعماله الخيرية أو الدعوية أو...

وإن الحكام ومَن خَلفَهم أو معهم من شياطين الإنس والجن ليَتَمَنَّوْن أن يحصر المسلمون أعمالهم بما لا يؤثر فيهم. ويريدون أن يكون المسلمون ومُوَجِّهوهم أدواتٍ بأيديهم،

يُثَبِّتون بهم حكمهم.

لذلك، فإن هذا الفهم الخطأ للنص يشكل خطراً على الأمّة، إذ هو يثبّطها ويشدّها إلى الوراء بدل أن يدفعها لإحداث عملية التغيير، ويحوّلها إلى أداةٍ في يد عدوّها تعينه على نفسها، فتصارع نفسها بدل أن تصارعه وتصرعه.

إن التغيير لا يحصل بأعمال لا تؤدي إليه، فلا يحصل النصر بالدعاء، ولا يُهزمُ العدو بطلب العلم أو بالصلاة، ولا يؤدي عمل تحفيظ القرآن أو جمع المساعدات للفقراء أو إنشاء صفحة إسلامية على الإنترنيت أو إنشاء مدرسة أو معهد لدراسة الإسلام إلى وحدة الأمة ولا إلى إقامة الحكم بما أنزل الله ولا إلى إحياء فريضة الجهاد، ولا يدفع أيٌّ من هذا الفتنَ المتلاحقة على المسلمين في كل مكان. فمثل هذه الأعمال لها مواقيتها وقيمتها الشرعية حسب أدلتها، ولكنها لا تجزئ عن غيرها مما هو مطلوب ولا تؤدي إلى التغيير الذي أمر الله به.

وإنه لمن العجز المذموم والتعلق بالدنيا والهروب من الحق أن يزعم المتذرعون أن هذه الأعمالَ خطوةٌ على طريق التغيير. فإن الاكتفاء بهذه الأعمال فضلاً عن جعلها بديلاً عن العمل الصحيح والهادف للتغيير، هو ضلالٌ وتضليلٌ وعاملٌ تخدير للأمة، إذ يُحَكِّمُ قبضة عدوّها عليها، ويضيّع الجهود في أعمالٍ لا يلبث أصحابها أن يدركوا أنها صارت هي أيضاً خطاً أحمر، وأنهم ينبغي أن يحافظوا على ما تبقى مما هو دونها، حسب ذرائعهم.

واللهُ سبحانه وتعالى حين أمر بتغيير المنكر وإيجاد المعروف والحكم بما أنزل جعل شريعته كاملةً شاملةً لكل نواحي الحياة، وجعل لعملية التغيير طريقةً يجب اتباعها. وقد بيّنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قام بعملية التغيير، وناله وأصحابه فيها ما نالهم من أذىً. وجاءت آيات القرآن وأعمالُ الرسول تبيّن الأعمالَ والمواقفَ الشرعية لأجل عملية التغيير، والأعمالَ والمواقف التي يحرم اتخاذها في هذا السبيل. والحيدُ عن هذه الأحكام، وتركُ التقيُّدِ بها والقيامُ بما يخالفها فسقٌ ومناقض لمعنى قوله تعالى: ﴿يغيّروا ما بأنفسهم﴾.

إن أنظمةَ الكفر هي رأس المنكر، وإقامة سلطان الإسلام هو رأس المعروف، وهو واجب قطعي. وإقامة الخلافة هي تاج الفروض، بها تسقط أنظمة الكفر في بلاد المسلمين ويقوم سلطان الإسلام وتُحيي فريضة الجهاد ويقام بجميع الفروض ويُعَزُّ الإسلام وأهلُه. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الإمامُ جُنَّةٌ يقاتَل من ورائه ويُتقى به» رواه مسلم. وعدم القدرة على القيام بهذا الفرض في زمن ما أو حالٍ ما يوجبُ العملَ الجادَّ لتحصيل الاستطاعة وإقامته، ولو كان في ذلك مشاق وأذىً.

وعلى ذلك، فإن قصر التغيير على بعض الأعمال، وخاصةً تلك التي لا تغير الواقع هو خطأ أكيد وواضح، بل هو انحراف خطير في الفهم ويؤدي خدماتٍ كبيرةً لأعداء الإسلام.

وما يقدمه الضالون من الجبناء وعلماء السلاطين وذوي المنافع الخاصة من أعذار لأجل السكوت على الحكام ومنكراتهم أو الرضا بالواقع، أو لموالاة الكفار، ومن إضفاء مبررات على مداهنتهم للحكام وعلى منكراتهم كل ذلك كذب ونفاق، وليس له قيمة شرعية، وليس هو الدافع الحقيقي لمواقفهم، وما الدافع الحقيقي لذلك إلا كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الوَهْن، حب الدنيا وكراهية الموت». وهو مَرَضٌ في القلب ينمو كلما ضعف الإيمان، وهو هوىً مُضِلٌّ يختم على قلب صاحبه فلا يتدبَّرُ القرآن ولا يعرف طعم الإيمان.

إنهم يبررون انحرافهم بعجزهم وبواقع الأمة وضعف إمكاناتها وقلة خياراتها، وبقوة الكفر وحجم جموعه وعظم إمكاناته وكثرة خياراته. وكأن هذا الزعم مبرر شرعي لتغيير أحكام الشريعة وتحريفها ولموالاة الكفار ولليأس والاستسلام. وهذا المبرر كذب، وإنما الحقيقة تكمن في قوله تعالى: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ فهذا الفرق في ميزان القوى والإمكانات يدفع المؤمنين إلى قوة في الإيمان والثبات واللجوء إلى الله وطاعته، هكذا

أخبرنا الله عن المؤمنين الذين أثنى عليهم، أما أصحاب المعاذير الذين يسارعون إلى إرضاء الكفار فهؤلاء لا حظ لهم في الآخرة، وهم معولٌ هدم في الأمة، وعقبة في طريق تمسكها بدينها وفي طريق التغيير الذي أمر الله تعالى به. قال تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ۞ فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتَّبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ۞ إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّفُ أولياءَه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين ۞ ولا يحزُنْك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئاً يريد الله ألاّ يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم﴾.

نعم، إنه ضعف في الإيمان، مرضٌ في القلب، يورث حب الدنيا وكراهية الموت، ويؤدي إلى حسابات دنيوية لا أثر فيها للإيمان بالغيب والصلة بالله، يَنْسَوْن فيها الله ويَضلون فيزيدهم ضلالاً ومرضاً. إنه الإيمان ومن زاغ عنه ضل. قال تعالى: ﴿نسُوا الله فنسيهم﴾، ﴿نسُوا الله فأنساهم أنفسهم﴾، ﴿في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً﴾، وضعوا في الميزان قوى الكفر الكبيرة بنظرهم مقابل إيمان ضعيف، فيئسوا وقنطوا، وجعلوا يُقنِّعون أنفسهم بضلالهم ويوالون الكفار أو يضللون المسلمين والله تعالى يقول: ﴿ولا تيأسوا من رَوْحِ الله إنه لا ييأس من رَوْحِ الله إلا القوم الكافرون﴾، ويقول: ﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾، ويقول: ﴿فترى الذين في قلوبهم مرضٌ يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين﴾.

إنه لا يقوم بهذا التغيير ولا يسعى إليه أو يتَّبع طريقته من لم تكن منطقة إيمانه سالمة. وإيجادُ هذا الإيمان هو أولى خطوات هذا التغيير، وتوسيعُ دائرته في الأمة هو القوة الدافعة لإحداث التغيير.

إن من عقيدة المسلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الأجل بيد الله وحده، والرزق من عند الله وحده، وأن الإيمان شرط للنصر، وقد دلت مئات الآيات على هذا المعنى للإيمان وآثاره من نصر وتمكين وعزٍّ وسكينة وطمأنينة وأمن بتوفيق من الله سبحانه وهدىً للمؤمنين. ﴿أفلا يتدبَّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾.

قال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتابٍ من قبل أن نبرأها﴾. وقال: ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتبَ الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾، وقال: ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجَّلاً﴾، وقال: ﴿وما من دابَّةٍ في الأرض إلا على الله رزقها﴾، وقال: ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾، وقال: ﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نَفَثَ روح القدس في رُوعي أن لن تموت نفس حتى تستوفيَ رزقها وأجلها وما قُدِّر لها» هذه النصوص ـ وغيرها كثير ـ يؤمن بها كل مسلم، وعليه أن يتذكر معانيها ويستحضرها بشكل دائم ويلتزم بها في أعماله، ولو فعل ذلك فلن يكون في قلبه الوَهْن، وأول من يجب أن يتصف بهذا الإيمان حَمَلة الدعوة، العاملون للتغيير ولإقامة حكم الله في الأرض، والدعوة إلى الإسلام. ولذلك تجب الدعوة إلى هذا الإيمان وجعله أساساً للدعوة والتذكير به. ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾.

إن المبررين لانحرافاتهم في موالاة أنظمة الكفر، أو لتغيير أحكام الإسلام بدل العمل لتغيير أنظمة الكفر، هؤلاء ساقطون في امتحان الله لما في قلوبهم، إذا قُرئ عليهم القرآن لا يتدبَّرون، وإذا ذكِّروا بآياته لا يتذكرون، ويخوِّفهم الشيطان فيخافون، لأنهم تولَّوا الشيطان ولم يتولَّوا الله سبحانه، فيخشَوْن ما يتوهمونه من عواقب ونتائج، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿والعاقبة للمتقين﴾، ويقول: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

فلا يجوز اليأس ولا الانحراف، ولا تيئيس

المسلمين أو توهينهم بحجة الضعف أو بطش الحكام. فهذا ليس له قيمة شرعية، ولا يغير وجوب العمل للتغيير، ولا يغير وجوب الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم. أما قوى الكفار وكيدهم وما هو ليس بيد المسلمين أو طاقتهم فذلك موكول إلى الله عز وجل. قال تعالى: ﴿ومن يَتَّقِ الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾، وقال: ﴿أليس الله بكافٍ عبدَه ويخوفونك بالذين من دونه﴾، وقال: ﴿إن الله يدافع عن الذين ءامنوا﴾، وقال: ﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لِتزولَ منه الجبال﴾، وقال: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة أمرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ۞ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقومٍ يعلمون ۞ وأنجينا الذين ءامنوا وكانوا يتقون﴾، ويقول: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يُغلبون﴾، ويقول: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾.

فالذين يعرضون عن أمر الله متذرعين بالحرص على الإسلام أو بالوسطية أو الاعتدال وإن ظهروا بزي العلماء، إنما هم جبناء وعملاء ومرجعهم الوَهْن وضعف الإيمان، وهؤلاء يحكمون على أنفسهم بالشقاء في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ۞ قال رب لِمَ حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ۞ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾.

والذين يؤمنون بالله وكتابه ويتدبرون آياته، يرون بإيمانهم ما لا تراه العيون. ويلتزمون بما يأمرهم به إيمانهم، ويثبتون على الحق وقول الحق، يجتثون به الباطل ولا يحسبون للنتائج أي حساب، وهي بيد الله وحده، هؤلاء يزيدهم الله إيماناً ويؤمِّنهم ويمديهم ويُثَبِّتُهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾،

وقال أيضاً: ﴿ألم تَرَ كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء ۞ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ۞ ومَثَلُ كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ اجتُثَّت من فوق الأرض ما لها من قرار ۞ يُثَبِّتُ الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويُضِلُّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.

إن الأذى في سبيل الله وانغلاق السبل وشدتها أمام حَمَلَة الدعوة، إنما هو ابتلاء من الله وامتحان للإيمان. قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ وقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أموالكم وأنفسكم ولتسمَعُنَّ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾، وقال: ﴿ألم ۞ أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ۞ ولقد فتنّا الذين من قبلهم فَلَيَعْلَمَنَّ الله الذين صدقوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذبين﴾.

وشتان بين الصادقين والكاذبين في الإيمان. فالصدقَ الصدقَ في الإيمان ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾.

وحذارِ حذارِ من محرفي الدين وعلماء السلاطين اليائسين الذين يصورون أن استئناف الحياة الإسلامية بإقامة دولة الخلافة أمر خيالي أو بعيد، فإنما هؤلاء فتنة، ولقد نهاهم الله عن تحريف الدين حيث قال: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾، ونهاهم عن تزييف الحق وكتم العلم فقال: ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾، وتوعدهم على ضلالهم فقال: ﴿أفرأيتَ من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وخَتَمَ على سمعه وقلبه وجعل على بصره غِشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تَذَكَّرون﴾ ❑

محمود عبد الكريم حسن

صفقات إيرانية روسية

أعلن السفير الإيراني في روسيا مهدي سفري في ٢/٢٢ أن استئناف بيع إيران أسلحة روسية قد يوفر لموسكو حوالي ٧ بلايين دولار خلال السنوات المقبلة وقال لوكالة إنترفاكس الروسية إن هذا المبلغ يشتمل على مبيعات الأسلحة التقليدية وتأهيل اختصاصيين وهذا يفوق ما تحدث عنه الروس بيليوني دولار.

ويتوقع أن يزور وزير الدفاع الإيراني علي شمخاني موسكو في الربيع لمناقشة استئناف التعاون العسكري بين البلدين، ثم يتبعه الرئيس محمد خاتمي بزيارة مماثلة. وتبدي إيران اهتماما خاصا بشراء صواريخ أرض ـ جو روسية من طراز اس ٣٠٠ ومروحيات هجومية من نوع مي ١٧ وطائرات مقاتلة سو ٢٥ ❑

التفاعلات الإيرانية

اتهمت أوساط دينية إيرانية يطلقون عليها «محافظة» الرئيس خاتمي بإهانة الإسلام ووصفت برامجه وسياساته بأنها ميكيافيلية. جاء ذلك في صفحات المجلة الأسبوعية «الفيضية» القريبة من الحوزة الدينية في قم حيث ورد في المجلة المذكورة: «الإهانات التي وجهت إلى الإسلام في عهد خاتمي ليس لها مثيل في تاريخ إيران ولا حتى في عهد الشاه رضا خان الذي اتسم حكمه بمحاربة الدين» وتحت عنوان: الجيل الجديد لميكيافيلي رأت المجلة أن مواقف خاتمي اتسمت بالغموض والإبهام والتناقض والدعوة إلى الحرية وفق النظرة الغربية. إن مواقف الرئيس الإيراني التي تعتبر أن الناس لا يريدون قيمومة أحد عليهم لا تعني سوى رفع أيدي علماء الدين عن المجتمع وتؤدي لاحقاً إلى إنكار ولاية الفقيه ثم إنكار الإمامة وإنكار النبوة والتوحيد» ❑

اعتقال رجل أعمال!

رُفع الغطاء عن رجل أعمال لبناني يدعى سليم الدادا، وتم اعتقاله ومصادرة سيارات عديدة يملكها وصدرت تعليقات عدة حول ملابسات هذا الاعتقال من أبرزها أن اعتقاله تم بناءً على أوامر أميركا المطالبة بمكافحة تبييض الأموال والتهريب والمخدرات، وإلزام لبنان بسن قانون يمنع تبييض الأموال، وكان لتصريحات رئيس البنك الدولي مؤخراً، وتصريحات السفير الأميركي دورٌ في هذا التحرك، كما أن للإنتربول دوراً أيضاً ❑

أميركا تتدخل في شؤون دينية

نشرت "الشراع" ٢/٢٦ أن وفداً من الكونغرس الأميركي يضم أعضاءً في لجنة الأديان في العالم سوف يصل إلى القاهرة في منتصف شهر آذار للاطلاع على أوضاع الأقباط في مصر للتأكد من المزاعم التي تروج لها وسائل الإعلام عن اضطهاد الأقباط، وذكرت "الشراع" أن مصر غير مرتاحة للزيارة وطبيعتها لكنها تتعامل معها بشكل دبلوماسي ❑

الأمير حسن و السلطة

نقلت "الشراع" ٢/٢٦ عن مصادر دبلوماسية عربية لم تذكرها أن هناك إشارات بقرب عودة الأمير حسن لتولي مهمات رفيعة وأن مباحثات عائلية بدأت بمبادرة من الملك عبد الله تجاه عمه إثر مجيء إرييل شارون إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية. وربطت بين هذه الخطوة وقيام الملك عبد الله بإقصاء سميح البطيخي (مدير المخابرات) الذي أدى دوراً أساسياً في الخلافات بين الملك حسين وأخيه (حسب قول مجلة الشراع) ❑

العراق لا يملك أسلحة كيميائية

جاء في تقرير لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية (سي. آي. إي) وزع على أعضاء الكونغرس في الأسبوع الأخير من شباط ٢٠٠١م ما يلي: «إن إيران سعت إلى الحصول على خبرات فنية ومواد ومعدات نووية من مصادر مختلفة لاسيما روسيا، نشتبه بأن طهران على الأرجح تريد الحصول على مواد انشطارية، وتكنولوجيا لتطوير برنامجها النووي، إن إيران صنعت وخزنت آلاف الأطنان من الأسلحة الكيماوية التي تسبب التقرحات ومواد خانقة وقنائف تحمل هذه المواد. أما فيما يتعلق بالعراق فإنه لا يوجد أي أدلة مباشرة على أنه أعاد بناء برامج أسلحته البيولوجية والكيماوية والنووية، على رغم أن هذا النوع من الأنشطة يجب ألا يستبعد نظراً لسلوكه في الماضي. إن سورية لديها مخزون من غاز الأعصاب (الخردل) وتحاول تطوير مواد أقوى تأثيراً وهناك احتمال كبير أن تكون دمشق تحاول تطوير قدرة هجومية في الحرب البيولوجية» ❑

الكويت و المظلة الأميركية

نشرت "الحياة" (٢/٢٤) تقريراً عن الكويت ذكرت فيه: «أنفقت الكويت على التسلح بلا حساب ولكنها ما زالت بعد عشر سنين من انتهاء حرب الخليج مرتبطة بالمظلة العسكرية الأميركية لتحمي نفسها من النظام العراقي، وكانت خصصت

١٢ بليون دولار في العام ١٩٩٢م لإعادة بناء جيشها، ولا يشمل هذا المبلغ الذي يضع الكويت على رأس الدول في نفقات الدفاع بالمقارنة مع عدد السكان النفقات العادية للجيش والشرطة التي تشكل أكثر من ٣٠ في المائة من موازنة الدفاع (١٣ بليون دولار)... لكن الكويت التي لا يتجاوز عدد سكانها الأصليين ٨٠٠ ألف نسمة لا يمكنها أن تشكل أكثر من قوة ردع صغيرة والدفاع عنها يبقى من مهام حلفائها. ونتشر واشنطن حوالي ٤٥٠٠ جندي في الكويت وتلتزم تعزيز قواعدها الجوية في هذا البلد وفي الإجمال يتمركز ٢٥ ألف جندي وعدد كبير من السفن الحربية في الخليج» □

باكستان و الهند

قام وفد من أعضاء الكونغرس الأميركي بزيارة باكستان تحت ذريعة البحث في بوادر سباق تسلح جديد في ظل إعلان باكستان عزمها على تجميز غواصاتها بصواريخ قادرة على حمل رؤوس نووية وشرائها فرقاطات وتطويرها سفناً بحرية كاشفة للألغام وأخرى حاملة للصواريخ. وزار الوفد نفسه الهند مدعياً رغبته في إطلاق حوار بين الهند وباكستان. وتقول الأخبار إن باكستان قامت بهذه الخطوة رداً على قيام الهند بعقد صفقات عسكرية مع روسيا، حيث قامت روسيا بتزويد الهند بوقود نووي ودبابات تي ٩٠ وطائرات متطورة جداً □

الحَجر على بريطانيا

بعد سريان العقوبات الأميركية، وبمسايرة من بريطانيا، على العراق لعدة سنوات وبعد حصار ليبيا وفرض عقوبات على السودان قامت بريطانيا مؤخراً بفرض حجر صحي على نفسها بعد اكتشاف مرض الحمى القلاعية في الماشية والخنازير. وتحولت أجزاء من الريف البريطاني إلى مناطق يحظر دخولها في إطار خطوات جديدة لمكافحة المرض، ووضعت في عدد من المناطق الريفية ملصقات كتب عليها «ابتعدْ»، وصدرت أوامر إلى موظفي البريد بترك الخطابات عند بوابات المزارع. في حين نصح المواطنون بالابتعاد عن الحقول بعدما تبين انتقال المرض إلى موقع ثالث جنوب شرقي إنكلترا. وينتشر مرض الحمّى القلاعية بسهولة وينتقل عن طريق الهواء. وهذه أزمة جديدة غرق فيها المزارعون الإنجليز بعد أزمة جنون البقر التي أربكت العديد من دول العالم الثالث ممن استورد لحوماً أو أعلافاً من بريطانيا وأوروبا. وأثار انتشار نبأ الحمى القلاعية القلق في أرجاء العالم ما دفع عدة دول إلى فرض حظر على الماشية ومنتجات اللحوم البريطانية □

تخبط الترابي

يقولون إن الترابي قدم هدية مجانية للبشير سوغت للأخير اعتقاله دون حصول تعاطف شعبي كبير مع الترابي، وذلك بسبب وقوع الترابي في غلطة الشاطر التي جعلته يوقع اتفاقاً مع جون قرنق (عدو أهل السودان اللدود) ومفجر الحرب ضدهم منذ عدة سنوات.

ومن تخبطات الترابي الماضية: احتضانه لجعفر النميري حينما أطلق عليه لقب الإمام بعد أن أقنعه برمي زجاجات الكحول في النيل الأبيض، وزج بخصومه من كل الاتجاهات في السجون، وكان من أبرز مساعدي النميري حينما عقد صفقة نقل يهود الفالاشا إلى فلسطين المحتلة. ثم دخل في تحالف مع البشير وتمثيلية الانقلاب التي اتفق فيها أن يُسجن ستة شهور حتى ينجح الانقلاب العسكري الذي عسكر النظام. ثم انقلب الحلفاء على بعضهم فانقلب الترابي على البشير، وحاول كل فريق التحالف مع طرف من أطراف المعارضة التي طالما حاربوها من أمثال: المهدي والنميري وقرنق، وتحول هذا السباق إلى خسارة الترابي وزجه في السجن مع قليل من ضجيج الشارع وصراخ أنصار الترابي □

من اتفاقية الترابي ـ قرنق

٣ـ يؤكد الطرفان أن السودان بلد متعدد سياسياً ومتنوع دينياً وثقافياً ولا بد من التراضي على عقد اجتماعي جديد لا يسمح بالتمييز بين المواطنين على أساس الدين أو الثقافة أو العرق أو النوع أو الإقليم.

٤ـ يؤكد الطرفان أن حق تقرير المصير حق إنساني مشروع وأن وحدة السودان يجب أن تقوم على إرادة أهله الطوعية. وقد دان الطرفان محاولات النظام الأخيرة للتنصل عن حق تقرير المصير بعدما التزمه في المبادرات والاتفاقات السابقة.

٦ـ اتفق الطرفان على أن السودان بتعدده وتنوعه ومساحته الشاسعة لا يمكن إدارته مركزياً ولا بد من صيغة لامركزية للحكم تنمي هيمنة المركز على الهامش وتتوافق مع حاجة الأقاليم لإدارة نفسها بنفسها وعبر مواطنيها مع أداء المركز لمهماته الوطنية والتزاماته الخارجية □

التنصت على الهاتف

قال وزير الداخلية اللبناني إلياس المر إن هناك تنصتاً غير رسمي أو غير حكومي على الهاتف المحمول، ونفى قيام السلطة اللبنانية أو أي سلطة غير لبنانية بذلك التنصت، وأشار بأنه سوف يستمر في ملاحقة الموضوع لكشف ملابسات التنصت ❑

إسرائيل تلوث البحر

كشفت وسائل الإعلام اليهودية والتلفزيونية بالذات فضيحة تلويث البحر الذي مارسته السلطات اليهودية. ففي ٢٠٠١/٠٢/٣٠ بث الصحافي اليهودي (أخان عزرلي) عبر التلفزيون برنامجاً عن البيئة قال فيه: «إن إسرائيل ألقت في البحر خلال سنوات كثيرة آلاف الأطنان من النفايات الضارة الحيّة، بعد أن تعين على الجيش الإسرائيلي التخلص منها، بعدما أصبحت خطراً على أفراد الجيش إذا تم استعمالها، وقال إن مخازن النفايات الطبية بأنواعها قد تكاثرت في إسرائيل بسبب ظروف الحرب مع العرب حيث تقوم الصناعات العسكرية الإسرائيلية بإنتاج أنواع كثيرة من النفايات للتصدير وللجيش ومع مرور الزمن تقوم قيادة الجيش الإسرائيلي بتجميد النفايات والتخلص من النفايات القديمة، ويجري التخلص من هذه النفايات عبر نقلها إلى سفن خاصة وإلقائها في البحر دون دراية أحد وبشكل سري، وإن إسرائيل اعتادت استخدام هذه الطريقة طوال سنوات كثيرة وبسبب هذه النفايات تحولت بعض مناطق البحر إلى مواقع نفايات من النفايات والأسلحة متعددة الأنواع وقذائف المدفعية وخراطيش صواريخ. وبعد هبوط العاصفة من المطر والرياح التي حصلت في أواخر شباط قذف البحر بعض الأسلحة والقذائف إلى الشاطئ، وقامت القوى العسكرية بفرض طوق أمني على تلك المناطق من الشاطئ ❑

وثيقة جديدة في دمشق

وقّع أعضاء في الهيئة التأسيسية للتجمع المدني وثيقتهم الثانية للرد على الاستفتاءات والاتصالات التي وجهها إليهم مسؤولون حكوميون وقادة حزب البعث الحاكم، بهدف التحريض وتشويه سمعة أعضاء الهيئة والمثقفين ودعاة المجتمع المدني، وجاء مشروع الوثيقة الذي نشرته (الحياة) في ٢٠٠١/٠٢/٢٥ في أربع صفحات، تحت عنوان (توافقات وطنية عامة) بهدف تحديد الأرضية العامة لتحرك المثقفين والجمعيات والمنتديات التي أعلنت السلطات تجميدها إلى حين حصولها على رخص قانونية. وجاءت هذه الوثيقة بعد صدور وثيقة الـ ٩٩، ووثيقة الألف مثقف اللتين سبق الإعلان عنهما في الأشهر الماضية ❑

الضغوط الأميركية

أثمرت الضغوط الأميركية على بعض الأنظمة العربية إلغاء رحلات جوية كانت مقررة إلى بغداد، وقد ألغيت رحلة للخطوط الجوية القطرية تحمل وفداً من ستين شخصية يرأسهم رئيس غرفة التجارة والصناعة (الشيخ حمد بن جاسم آل ثاني)، وألغت شركة (إتي.أم.آي) اللبنانية رحلتين إلى بغداد في الوقت نفسه حيث قامت شركات التأمين الأميركية بإلغاء التأمين على هذه الطائرات ❑

حزب تحناح ملكي أكثر!

ظهر مؤخراً في الجزائر الحياز محفوظ نحناح (رئيس حركة مجتمع السلم) إلى السحر في الجزائر، وبدا في هذه الخطوة مأخوذ ملكي أكثر من الملك، فقد قام نحناح بعقد تجمع شعبي ضم ممثلين للمجتمع المدني وشخصيات سياسية وقانونية بهدف تأسيس «هيئة تحالف مدني» تتولى ملاحقة الملازم المتقاعد حبيب سواعدية بتهمة الإساءة إلى المؤسسة العسكرية، وكان حبيب سواعدية قد أصدر كتاباً في فرنسا بعنوان «الحرب القذرة» أشار إلى تورط المؤسسة العسكرية في المجازر التي طاولت المدنيين في الجزائر طيلة الأعوام الماضية، وقد أثارت خطوة نحناح هذه استنكار وتعجب أوساط سياسية وإعلامية تساءلت عن خلفية صمت المؤسسات الحكومية إزاء الكتاب الذي نشره حبيب سواعدية الذي يتهم الجيش بالمجازر، في حين تتولى حزب إسلامي الدفاع عن سمعة المؤسسة العسكرية وهو حزب (حركة مجتمع السلم) الذي يرأسه محفوظ نحناح (أنظر "الصفة" ٢٠٠١/٠٣/٢٥ ص٦) ❑

انهيارات مستمرة في الشيشان

اعترفت روسيا في ٢٠٠١/٠٣/٢٤ بأن قواتها تكبدت خسائر بشرية خلال معارك في عدد من مدن الشيشان، بينما توقع نائب شيشاني محلول تطورات إيجابية تجاه المفاوضات الروسية الشيشانية، وأكدت بلاغات روسية سقوط خمسة قتلى وعدد من الجرحى في اشتباكات في غروزني وأرغون وفيدينو ومناطق أخرى.

وقالت وكالة إنترفاكس نقلاً عن الإدارة العسكرية الروسية للعاصمة الشيشانية إنه تم اكتشاف مقبرة جماعية تحتوي على أكثر من ٢٠٠ جثة في ضاحية جنوب شرقي غروزني. وأوضح المصدر نفسه أن الجثث تعود إلى مقاتلين من الشيشان سقطوا نتيجة للحرب التي حصلت عام ٢٠٠٠م.

الانتفاضة وإشعال المنطقة

قال نائب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي موشي يعالون إن من شأن تصعيد المواجهات على الجبهة الفلسطينية أن يؤدي إلى تصعيد على الحدود مع لبنان وإلى حرب شاملة تشارك فيها سورية والعراق مستبعداً مشاركة فعلية لمصر والأردن. وقال لصحيفة "معاريف" إن أوساطاً في «فتح» تسعى إلى تصعيد المواجهات، ورغم تفوق إسرائيل العسكري على الفلسطينيين إلا أنه بمقدورهم إيجاد تحدٍّ قد يشكل خطراً على وجود إسرائيل إذ إنهم يمسكون بعود الثقاب الذي قد يشعل المنطقة بأسرها ❑

مسلمو كينيا يحذّرون

اتهم المجلس الأعلى لمسلمي كينيا السلطات التنزانية بالتسبب في أعمال عنف وانتهاك حقوق الإنسان في جزيرة زنجبار مطالباً الأمم المتحدة بفتح تحقيق في الاتهامات المذكورة. وناشد المجلسُ الرئيسَ الكيني التدخل لإيجاد حل نهائي لأزمة زنجبار، مشيراً إلى أن سكان الجزيرة عاجزون عن اختيار ممثليهم السياسيين بسبب أعمال القمع واستخدام القوة. وحذّر رئيس المجلس عبد الغفور البوسيدي خلال مقابلة تلفزيونية من أن تدهور الأوضاع في زنجبار قد يتصاعد مذكراً بالمجازر التي حصلت في رواندا وبوروندي. وطبقاً لإحصاءات المجلس الأعلى لمسلمي كينيا، فإن أكثر من سبعمائة لاجئ بينهم ستة عشر نائباً لجأوا من زنجبار إلى كينيا. وسقط حوالي ٢٠٠ قتيل ومئات الجرحى خلال الاشتباكات الأخيرة ❑

التقرير السنوي لـ (C.I.A.)

نشرت وكالات الأنباء في الثالث الأول من شباط تقرير المخابرات الأمريكية السنوي وتطرقت فيه للمخاطر على (الأمن القومي الأمريكي). وجاء في التقرير على لسان رئيس المخابرات جورج تينيت: «أصبح المواطنون العاديون أكثر ضجراً وحنقاً، وتظهر الأحداث الأخيرة أن الحافز المناسب مثل تفجر العنف الإسرائيلي الفلسطيني قد يدفع الشعوب إلى التحرك، إن الشعوب الضجرة تزايدت قدرتها على العمل دون قيادة محددة أو هيكل تنظيمي باستخدام وسائل اتصال مثل الإنترنت ... إن الاحتمالات الاقتصادية القائمة مقرونة بارتفاع النمو السكاني تسهم في إذكاء التوتر، ... إن الحكومات العربية ستواجه عما قريب مأزق الاختيار بين طريق الإصلاح التدريجي الذي لا يتوقع أن يضيق الهوة المتزايدة الاتساع بين المنطقة وبقية العالم وبين طريق التغيير الشامل الذي ينذر بإذكاء نشاطات سياسية مستقلة ... إن اختيار الطريق الأول ينذر بزيادة التوتر داخل الفئات السكانية الأصغر سناً والأفقر والأكثر إصراراً على حقوقها السياسية» ❑

إسرائيل تفضل أبو قريع

ذكرت المحرر نيوز النبأ التالي: «ذكرت أنباء استخبارية غربية نقلاً عن الاستخبارات العبرية (الموساد) أن وزير الخارجية العبري شلومو بن عامي يحاول منذ فترة تلميع صورة أحمد قريع أمام الدوائر العسكرية والأمنية في إسرائيل كخليفة لعرفات أكثر تجاوباً مع الدولة العبرية من أي زعيم فلسطيني آخر في حال غياب عرفات عن الساحة. وقالت الأنباء إن ابن عامي مدعوماً من وزير آخر هو يوسي ساريد الذي يشاركه المفاوضات مع الفلسطينيين يسوّقان قريع الذي أنشأ معهما علاقة حميمة تتجاوز المفاوضات والاتصالات الرسمية» ❑

الانتحار في الجيش الإسرائيلي

أعربت قيادة الجيش الإسرائيلي عن مخاوفها إزاء موجة الانتحارات التي يشهدها الجيش منذ اندلاع الانتفاضة الأخيرة، ورأت أن الضغط الزائد على جنود الجيش النظامي الذين أرسلوا إلى مواجهة الفلسطينيين والتوتر السائد على الحدود مع لبنان أديا إلى هذه الموجة. واعترف الناطق بلسان الجيش أنه منذ بداية تشرين الأول الماضي وحتى اليوم وقعت ١٧ حالة وفاة في صفوف الجيش يشتبه أنها حالات انتحار، وأنه تم تشكيل طاقم خاص للتحقيق في هذه الظاهرة مشيراً إلى أنه خلال عام ١٩٩٩ سجلت ٣٦ حالة انتحار بمعدل حالتين شهرياً مقابل ٣٣ حالة مماثلة في العام ٢٠٠٠م أي بمعدل ٢,٧ حالة شهرياً في الأشهر الأربعة الأخيرة منذ بدء الانتفاضة ❑

بسم الله الرحمن الرحيم

آيــةُ الدَّيْــن (٢)

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأبَ كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأبَ الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضارّ كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم(٢٨٢)﴾ [البقرة].

﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ (الباء) إما متعلقة بـ ﴿وليكتب﴾ أو بـ ﴿كاتب﴾.

فإن كانت على الأول أي وليكتب بالعدل بينكم كاتب، أي أن المطلوب أن تكون الكتابة بالعدل وإن لم يكن الكاتب عدلاً أي لو كان غير مسلم وكان جيداً في الكتابة غير متحيز مأموناً، فإن ندب الكتابة يتحقق به.

وإن كانت على الثاني ــ أي تعلقت الباء بالكاتب ــ فإن المعنى يكون: وليكتب بينكم كاتب عدل: أي أن يكون الكاتب عدلاً وهذا يعني مسلماً غير ظاهر الفسق، يتقي الله في كتابته، يفقه ما يكتب ويحسنه.

والراجح هو الثاني بقرينة ما جاء بعدها ﴿ولا يأبَ كاتب أن يكتب كما علمه الله﴾ والذي لا يرفض أن يكتب لأن الله علمه الكتابة ومنّ عليه من فضله هو المسلم العدل.

ولذلك يكون المعنى (وليكتب بينكم كاتب صفته أنه عدل، أي مسلم غير ظاهر الفسق فقيه لما يكتب مأمون فيه).

وأما ذكر ﴿بينكم﴾ للدلالة على أن الكاتب مختار من الطرفين غير متحيز لأحدهما وأن يكون غيرهما، أي أن لا يكون الكاتب أحد الطرفين ولا مرتبطاً أو متحيزاً لأحد الطرفين، بل يكتب ﴿بينكم﴾ فهو كاتب محايد.

﴿ولا يأبَ كاتب أن يكتب كما علمه الله﴾ لا يرفض الكاتب أن يكتب، والرفض هنا على الكراهة لأن النهي عن رفض الكتابة لم تصحبه قرينة جازمة فهو نهي غير جازم أي مكروه.

﴿كما علمه الله﴾ أي لا يرفض الكتابة بل يكتب بسبب أن الله منّ عليه بتعليم الكتابة، فيساعد الآخرين بالكتابة لهم شكراً لله على توفيقه له بتعلم الكتابة بعد أن لم يكن يعلمها، وهذه كما قلنا قرينة على أن الكاتب المخاطب مسلم عدل يدرك نعمة الله عليه بتعليمه الكتابة، ولذلك فعلى الدائن والمدين أن يختارا كاتباً عدلاً للكتابة بينهما.

﴿فليكتب﴾ أمر بالكتابة وهو على الندب بدلالة ذكر الله قبلها ﴿أن يكتب كما علمه الله﴾ أي كما علمه الله الكتابة بعد أن لم يكن يعلمها فليحسن للآخرين بالكتابة إليهم إن كانوا في حاجة إليه.

﴿وليملل الذي عليه الحق﴾ وهو كذلك مندوب لأن الكتابة بناء عليه.

﴿فليكتب وليملل الذي عليه الحق﴾ وتذكيره بالتقوى يؤكد الندب كذلك ﴿وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً﴾.

﴿وليملل﴾ من الإملال أي الإلقاء على الكاتب ما يكتبه، وفعله أملت.

﴿الذي عليه الحق﴾ أي المدين فهو الذي يذكر للكاتب الدين الذي عليه زيادة في التوثيق، فاعتراف المدين بالدين أقوى من ادّعاء الدائن أن له ديناً، فالمدين هو الذي يملل على الكاتب.

﴿وليتق الله ربه﴾ تذكير له بتقوى الله وحثّ له على الصدق في القول وتحري الحقّ فيما يقول.

﴿ولا يبخس منه شيئاً﴾ أي لا ينقص من الحق شيئاً، وذكر ﴿شيئاً﴾ وتنكيرها للدلالة على عدم تنقيص أي جزء من الحق مهما كان قليلاً.

﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ أي إذا كان المدين ﴿سفيهاً﴾ والسفيه الجاهل خفيف العقل بذيء اللسان، وهي هنا (بذيء اللسان) وهو الذي إن ترك له الإملال على الكاتب سيأتي كلامه سيئاً.

يقول: سافهه: شاتمه، ومن المثل: سفيه لم يجد مسافهاً، فالسفيه بذيء اللسان.

﴿أو ضعيفاً﴾ أي ضعيف الرأي لا يستطيع ترتيب الأمور أو إخراج الكلام على نسق، فإن ترك له الإملال فقد يقدم أو يؤخر أو يأتي بالكلام مضطرباً فيفسد المعنى.

﴿أو لا يستطيع أن يملّ هو﴾ أي لا يمكنه الحديث الواضح لعيّ في لسانه أو خرس كما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

وما قلناه سابقاً هو الراجح لدينا وذلك لأن الآية تفيد:

أ. إن الأصناف التي تمنع من الإملال لا يمنع تعاملها بالدين لأن الآية تبدأ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين﴾ فتعاملهم بالدين صحيح شرعاً، وعليه لا يصحّ أن يكون في تفسير ﴿سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ مثل المجنون أو المحجور عليه أو الصغير الذي لا تصح عقوده أو أمثالهم.

ب. كذلك فإن تفسير هذه الأصناف بالغائب مرجوح كذلك لأن الآية ترجح وجود المدين لكنه لا يستطيع الإملال ﴿وليملل الذي عليه الحق﴾ فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يملّ هو فليملل وليه بالعدل﴾.

ج. لا يصحّ تفسير الأصناف الثلاثة أو صنفين مثلاً بمعنى واحد لأن الآية تدل على أنهم أصناف ثلاثة، وكلّ صنف غير الآخر ﴿سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو﴾.

د. أن يكون للتفسير أصل في اللغة.

وبناء عليها أقول: إن ما ذكرته في التفسير هو الراجح فيها.

وهذه الأصناف الثلاثة تمنع من الإملال على الكاتب ويملي على الكاتب بدلاً منها وليهم.

وعلى الولي في هذه الحالة أن يملي بالحق عمن ولاه فلا يغير شيئاً من الحق الذي على وليه لا بالزيادة ولا بالنقصان بل يملي بالحق، والحق وحده فهو قائم مقام المدين.

﴿وليملل وليه بالعدل﴾ ﴿وليه﴾ الضمير هنا عائد إلى من عليه الحق أي المدين، فهو يعني (ولي المدين).

﴿بالعدل﴾ يعود على الإملال لأن الولي وبخاصة الشرعي منه محدد في الشرع كأبيه أو ابنه أو أخيه أو ما يقرره الشرع، وحيث قد عين الولي فيصبح المطلوب أن يملل هذا الولي على الكاتب بالعدل أي بالحق والصدق.

﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾.

يبين الله سبحانه أن يُشهد الطرفان على الكتابة رجلين أو رجلاً وامرأتين لتذكر إحداهما الأخرى إن نسيت بعض الوقائع.

وأن يكون الشهداء عدولاً وذلك بدلالة ﴿من رجالكم﴾ أي منكم وبدلالة ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ وحيث إنّ الخطاب من بدايته للمؤمنين أي أن يكون الشهداء ممن يرضاهم المؤمنون، وهذا يعني أن يكونوا عدولاً مسلمين أي أن الإسلام ظاهر عليهم في تصرفاتهم، وأن يكون الفسق ـ مخالفة أحكام الإسلام ـ غير ظاهر عليهم فهم بذلك يكونون عدولا تقبل شهادتهم.

﴿فرجل وامرأتان﴾ رجل رفع على الابتداء ﴿وامرأتان﴾ معطوف عليه، والخبر محذوف أي إن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يقومون مقامهما وهي تفيد كذلك أن شهادة امرأتين مع رجل تقبل سواء كان هناك رجال أم لا، أي إن لم يأتِ الطالب برجلين فليأتِ برجل وامرأتين، فإن أتى بأي الحالتين جاز وليس المعنى أن جواز شهادة رجل وامرأتين لا تصح إلا مع عدم الرجال لأنها لو كانت كذلك لكانت الآية (فإن لم يكن رجلان فرجل وامرأتان) وتكون (كان) تامة بمعنى إن لم يوجد لكن (فإن لم يكونا رجلين) أي إن لم يأتِ بشاهدين رجلين فله أن يأتي بشهود رجل وامرأتين.

﴿أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ أي إن شهادة امرأتين مكان واحدة لأجل أن تذكر الواحدة الأخرى لو نسيت جزءاً من الوقائع.

﴿أن تضل﴾ في محل نصب مفعول لأجله.

وتكرار إحداهما بدل القول (أن تضل فتذكر الأخرى) وذلك للمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال ـ بإحداهما ـ بعينها والتذكير بالأخرى بل المقصود أن التي تنسى تذكرها الأخرى وقد تكون هذه أو تلك.

﴿أن تضل﴾ أي أن تنسى، والضلال عن الشهادة إنما هو نسيان جزء منها وذكر جزء ويبقى المرء حيران بين ذلك ضالاً، ومن نسي الشهادة جملة فليس يقال ضلّ فيها.

ومن الجدير ذكره أن قبول شهادة النساء في المعاملات المالية جعلها الله سبحانه بهذه الكيفية اثنتين مقام واحد من الرجال، ودلالة الآية ﴿فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾ تفيد أن احتمال نسيان النساء كشاهدات في وقائع المعاملات المالية أكبر من احتمال نسيان الرجال ولعل ذلك بسبب قلة تواجد النساء في المعاملات المالية، فحضورهن لجميع الوقائع المالية أقل من تواجد الرجال وحضورهم، فكانت اثنتان تكملان شهادة بعضهما إن نسيت واحدة بعض الوقائع أو فاتها الحضور الكامل لما ذكرتها الأخرى وأكملت الشهادة، وهي في هذه الحالة كأنها بعدم متابعتها أحداث الواقعة المالية بحذافيرها تقومان مقام رجل واحد لمتابعته أحداث الواقعة بدرجة أكبر وذلك بسبب اختلاف واقع تواجد الرجال والنساء كشهود على الوقائع المالية الجارية، لأن الشهادة يجب أن تكون بناء على حضور واضح لا لبس فيه للواقعة كما قال رسول الله ﷺ عندما سئل عن الشهادة، فقال رسول الله ﷺ: "ترى هذه الشمس، فاشهد على مثلها أو دع"(١).

ويؤكد ذلك أن شهادة النساء واحدة أو أكثر في الأمور التي تتواجد فيها النساء عادة كالولادة والإرضاع وأمثالها هي المعتمدة □

[يتبع]

---

(١) تفسير القرطبي: ٣/٣٩، ضعفاء العقيلي: ٤/٦٩، نصب الراية: ٤/٨٢، وقال ضعفه الذهبي.

خطبة جُمُعة

أُلقيَتْ في أحد مساجد بيت المقدس

أما بعد أيها المسلمون: أوصيكم بتقوى الله ولزوم طاعته، وأحذركم من عصيانه ومخالفة أمره، واعلموا أن التقوى وقاية، والمعاصي غواية، وأنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين. فاتقوا الله عباد الله ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. وبعد أيها الناس: لقد طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، وفاض نضح الخيانة في كافة ربوع فلسطين، وأزكمت رائحة التآمر أنوفَ المخلصين. فما بالكم لا تغضبون، وللخيانة والتآمر لا تستنكرون، أرضيتم ببيع فلسطين؟ أم تراكم مع البائعين متآمرون؟ ظني بكم أنكم على دينكم غيورون، وللباطل كارهون، وللتخلي عن الأقصى رافضون، فماذا دهاكم، فإني أراكم ساكتين؟ هل خُيِّل إليكم من سحرهم أنكم حررتم فلسطين، واسترجعتم السيادة على الأقصى الحزين؟ هل تنتظرون زعيم البيت الأبيض المدبّرَ ليزيل الاحتلال الجاثم فوق صدوركم وقبوركم، أم تراكم تأملون مِنْ خَلَفِهِ القادمِ أن يعيد إليكم اللاجئين ويسكنهم في إفرات ومعالي أدوميم؟ هيهات هيهات لما توعدون! إن هي إلا مؤامرة كبيرة، صنعت على عين بصيرة، ونفذت بأيدي شريرة، وأنتم تنظرون.

أيها الناس: إن دماء الشهداء ما جفت، وأقلامَ الاتفاقيات ما رفعت، ووفودَ التفاوض والتآمر كلما عادت من الوكر رجعت، واللقاءات السرية ما انقطعت، وجراحَ الجرحى ما التأمت، والإغلاقات ما رفعت، والأطواقَ الأمنيةَ ما كسرت، والاغتيالات البشعةَ رؤوسَ القوم قد طالت، وإلى ظعينة مسافرة وصلت. إجراءات مميتة، وتعقيدات متعمدة، وإخراج يقتل صبر المراقب، ويحبط آمال المنتظر، ولكنها قواعد اللعبة، ومقتضيات المسرحية، حتى تتطليَ الحيلة، ويقول الجميع ليس بالإمكان أبدع مما كان.

أيها الناس: خمسون عاماً ونيف ومسلسل الخيانة مستمر، والحكم الجبري مستقر، وأجيال النكبة تندب حظها العاثر. وأهل فلسطين في صمت مريب على ما يمارس ضدهم، وليسوا في ذلك أكثر من مراهنين على حصان خاسر اسمه السلام الذي لن يجلب عليهم إلا الدمار، وفوق الدمار الخزي والعار، ولعن الأجيال القادمة. هل يرضى الإسلام بالمساومة على أرض الإسراء؟ وهل يحل شرعاً تقاسم السيطرة على المسجد الأقصى بين الكفر والإيمان؟ وهل السيادة في الإسلام محل نقاش عند من بقي لديهم ذرة من إيمان؟

أيها الناس: إن الذين يراهنون على المفاوضات ويأملون أن تحقق لهم أميركا الوعود بالاستقلال وحق العودة وتقرير المصير، إنما استزلمهم الشيطان ببعض ما اكتسبوا، وتلك نتيجة حتمية للجهل السياسي والضحالة الدينية والسير وراء السراب الخادع. ماذا جلبت علينا الإضرابات والوفود والمفاوضات وأعمال الاحتجاج من زمن الاحتلال البريطاني ومروراً بالحكم الأردني وانتهاءً بالاحتلال الإسرائيلي؟ وما الذي جنيناه من تضحياتنا بأبنائنا وأموالنا وجهودنا وأوقاتنا؟ إن الجواب الصادق على هذا السؤال يكمن في كلمات موجزة: إحتلال إسرائيلي للجزء الأكبر من فلسطين، واحتلال أميركي بغلاف فلسطيني لما تبقى، حتى إني سمعت أحدهم يذكر اقتراحاً أميركياً يطلب فيه خضوع منطقة المسجد الأقصى للقانون الفيدرالي الأميركي، حيث ستنتمي مرجعية حراس الأقصى عند بوابات البيت الأبيض، وإذا تنازعوا مع غيرهم فالمحكمة المركزية الفيدرالية الأميركية هي التي ستفصل في ذلك النزاع! ولسان حال المتآمرين يقول:

وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى البيت الأبيض ورجاله فهم الأقوى والأقدر على حل المشاكل. وأما المؤمنون فيقولون بقول الله جلت قدرته: ﴿وإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا﴾. أما اليهود فقد سعوا إلى بوابات الأقصى واحتشدوا عند مداخل البلدة القديمة من بيت المقدس ليرفعوا شعارات تقول بأن القدس لهم. وأما بنو قومنا فالمغنية اللبنانية النصرانية تغني لهم من وراء الحدود فتقول القدس لنا، والجنرال الباكستاني في بروازه الأميركي يزور سوريا والأردن ولبنان معلنا تضامنه مع شعب الانتفاضة وحقه في العودة إلى وطنه. فما هي القصة الحقيقية لمثل هذه التحركات المشبوهة في هذا الظرف بالذات؟ إن المسألة تكمن في ضغط أميركا على إسرائيل كي تقبل بالمقترحات الأميركية التي تسعى لرسم الشكل النهائي لحدود دولة إسرائيل من الشرق كما رسمتها بدقة من الجنوب والشمال، والخطوة الأولى تبدأ بتثبيت حدود للكيان الفلسطيني العتيد، ثم الانتقال إلى حدود كل منهما مع الأردن وسوريا. ويشكل هذا الأمر كابوساً على الساسة اليهود كونهم لا يريدون الوصول إلى صيغة نهائية تحجم وجودهم، فبدأ مسلسل المراوغة بما شهدته الساحة السياسية الإسرائيلية مؤخراً. وإذا فاز مرشح اليمين فإن العملية السلمية سترجع إلى مربعها الأول، ولذلك كان لا بد من التلويح بالنووي الإسلامي الباكستاني، كما تم من قبل التلويح بالشهاب الإيراني.

أيها الناس: لو قرأ أعضاء الوفد المفاوض قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أوَ كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ وحملوه على محمل الجد لحزموا حقائبهم وعادوا إلى بيوتهم، ولتحولوا فوراً إلى العمل البديل والوحيد، وهو الانخراط في صفوف العاملين المخلصين لإقامة دولة خلافة المسلمين. ولكنهم، مع الأسف، جزء من هذه المؤامرة الخبيثة التي ستودي بحياة فلسطين ومقدساتها وسكانها إلى الهاوية. وسيبقى اللاجئ لاجئاً، والنازح نازحاً، والمهاجر مهاجراً، حتى إشعار آخر، فإما التعويض وإما التوطين. أما ما يتشدقون به من حق العودة وأنه ثابت من الثوابت الوطنية وغير ذلك من الشعارات الرنانة، فتلك شنشنة نعرفها من أخزم، وقد عرفنا جيداً ماذا حصل في ثوابتهم التي لا تختلف عن ثوابت إخوانهم العرب، فلا صلح ولا مفاوضات ولا سلام، واليوم صلح ومفاوضات واستسلام، وقد عفا الزمن على الميثاق الوطني.

أيها الناس: لست أدعي ملكية المسجد الأقصى ولستم تدعون ذلك، بل هو ملك للمسلمين، وينبغي أن لا يقل أحد غيرة عليه مني أو منكم، ولست أزعم أني مكلف وحدي ببيان الحكم الشرعي في خيانة العصر وأم الخيانات، ولا أنتم تزعمون ذلك، بل إنه واجب على كل مسلم غيور على دينه وأمته أن يرفع عقيرته ويصيحَ بأعلى صوته في وجوه الخونة من أبناء فلسطين ومن يساندهم من حكام العرب والمسلمين قائلاً: رويدكم أيها المهرولون، فأنتم تسيرون بشعوبكم نحو التهلكة، وإنا والله لكم لمن الناصحين. فإن قبلتم نجوتم ونجونا معكم، وإن رفضتم النصيحة هلكتم وأهلكتم السائرين معكم والمتفرجين عليكم، وما نحن من بلائكم ناجون، ولا يجوز لنا تأخير البيان عن وقت الحاجة. ولا ينطبقن عليكم قولُ الشاعر:

أمرتُهمُ أمري بمنعرج اللوى
فلمْ يستبينوا الرُّشْدَ إلا ضحى الغدِ

وإنا وإياكم ينطبق علينا ما رواه البخاري وغيره عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوّا ونجوّا جميعاً». أو كما قال ﷺ، فادعوا ربكم يستجب لكم.

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قاصم الجبارين، ومبيد الظالمين، ومذل المستكبرين، وماحقٌ الخونة والمتآمرين، وناصر المستضعفين من المؤمنين ولو بعد حين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمين، وبعد ،

أيها الناس: إن اجتماعات القاهرة وغزة السرية والعلنية ليست للتفاوض وتبادل الآراء حول المواقف والمستجدات، ولو أنها كانت كذلك لكان أعضاؤها من السياسيين، ولكن لما كان أعضاؤها من رجال المخابرات فإن ذلك يعني أنهم يبحثون ترتيبات التنفيذ لما تم الاتفاق عليه عبر سلسلة طويلة من اللقاءات السياسية. فما هو هذا الذي تم الاتفاق عليه؟ إنه إجراءات عملية وسريعة لإنهاء الصراع مع يهود، واستغلال الدماء الزكية التي أريقت على الأرض المباركة، وحالة القهر والحرمان والجوع التي وضع فيها الناس عن قصد من قبل اليهود وبالتعاون مع السلطة بغرض تصفية القضية الفلسطينية وتثبيت كيان يهود. وبالتواطؤ الرخيص من قبل حكام العرب والمسلمين الذين أعطوا الفلسطينيين تفويضاً رسمياً من خلال مؤتمرات قممهم الأخيرة واجتماع وزراء خارجيتهم في القاهرة للسير في الحلول التصفوية. وعلى هذه الخلفية التآمرية تم الاجتماع بين أجهزة المخابرات الأربعة في مصر برئاسة رئيس جهاز المخابرات المركزية الأميركية CIA.

أيها الناس: يجب أن تتذكروا أن كل ما يطرح من تصريحات على لسان الحكام ورجالات السلطة والسياسيين هو لتضليل الأمة، خصوصاً ما يتعلق منها بموقف جهابذة التفاوض من أبناء فلسطين بأنهم لن يقبلوا أي اتفاق إلا إذا شمل حق العودة والسيطرة على القدس والمقدسات وكامل أراضي الضفة الغربية وغزة، فإن كل ذلك للاستهلاك اليومي وسيصبح هشيماً تذروه الرياح. وحتى لو تم لهم ذلك فإن مجرد التوقيع على اتفاق يعطي إسرائيل الشرعية على أي بقعة من أرض المسلمين هو خيانة لله ورسوله والمؤمنين، وتفريط في أرض الإسلام وبيع صريح لفلسطين. وليعلم الجميع أن خيانة الله ورسوله وجماعة المؤمنين أشد وأفظع مما يسمونه خيانة الوطن أو الخيانة العظمى. أما أنتم يا رجال السلطة، ويا أبناء فتح على وجه الخصوص، فإن مسؤوليتكم أمام الله وأمام الناس كبيرة إن سكتم عن هذه المهزلة. وأما أنتم يا أبناء الحركات الفلسطينية وطنيا وإسلاميّا فلا يصح أن تنطليَ الحيلةُ عليكم، وأنتم تزعمون أنكم طلائعُ هذا الشعب، والنخبةُ الفاعلة فيه، فكونوا على مستوى المسؤولية، واضغطوا على زعاماتكم وقياداتكم ليعلنوا رفضهم الصريح لجميع الاتفاقيات التي عقدت وستعقد، فإن فعلوا فبها ونعمت، وإلا فأعلنوا أنتم لهم رفضكم بكل صراحة ووضوح وجرأة، وقوموا فوراً بالانسحاب من تلك الحركات، وذروا الذين يتفاوضون ويوافقون في غمرة ساهون حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

أيها الناس: لقد آن أوانُ المفاصلة مع المفرِّطين، وآن أوانُ رفضِ هذه الجريمة النكراء، فإن ذلك فوق كونه واجباً شرعياً، فهو مطلبٌ إنساني مُلِحٌّ وعاجل، فإذا فاتكم القيام به ومرت الجريمة ــ لا سمح الله ــ فسينالنا غضب من الله عظيم، وسيحل بنا ندم شديد أن مكّنا للعلمانيين أمرهم ونحن نشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعندها لن ينفعنا مال ولا بنون.

فاللهم اشهد أنا نبرأ إليك من خيانة الخائنين وتآمر المتآمرين، اللهم إنا مغلوبون فانتصر لنا، اللهم إنا مقهورون فخذ لنا ممن قهرنا، اللهم إنا مظلومون فعليك بمن ظلمنا وآذانا، اللهم اجعل جمعنا مرحوماً مغفوراً، واجعل تفرقنا من بعده معصوماً، ولا تجعل اللهم فينا شقياً ولا محروماً. اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم عجل لنا بفرجك وبنصرك وبقيام دولة الإسلام التي فيها حكمك، إنك يا مولانا على ما تشاء قدير، وبإجابة دعائنا قريباً جدير، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ❑

الدولة الخفية وواقعها في تركيا

١ـ مقدمة:

إن القرارات السياسية والاستراتيجية في تركيا لا تصدر عن المصادر المعنية بالأمر ولكن تصدر من جهات أخرى وتصادق عليها الجهات المعنية. فلا البرلمان ولا الحكومة ولا حتى رئيس الدولة أو مجلس الأمن القومي هم الذين يحددون القرارات. لقد أصبحت هذه حقيقة لا يمكن إنكارها وكثيرا ما يستخدم الإعلام تعابير مثل القوى الخفية والقوى المتحكمة للتعبير عنها.

إنه يمكن القول بأن هذه القوى تتحكم حتى في الجيش، فأية مؤسسة في الدولة تقوم بعمل غير مرغوب فيه تنالها الفضيحة أو التهديد وربما تُبعد عن الساحة بطريق الانقلاب أو بجناية فاعلها مجهول.

من هي هذه القوى الخفية:

بعد سنوات عدة من المراقبة لإجراءات هذه القوى والبحث في المراجع عن واقعها وصلنا إلى قناعة بأن هذه القوى هي من الدونما.

إننا إذا أردنا أن نسرد جميع الأدلة على هذه الحقيقة فان ذلك سيحتاج إلى كتاب، ولهذا سنكتفي بجلب الانتباه إلى بعض النقاط التي أوصلتنا إلى هذه القناعة دون الدخول في التفاصيل.

٢ـ نبذة عن تاريخ الدونما:

يُطلق تعبير الدونما على الزنادقة الذين هم يهود في أصلهم ولكنهم تظاهروا بالإسلام واستخدموا أسماءً إسلامية وتركية وعدّوا أنفسهم أتراكاً، ويُطلق على هؤلاء اسم "السباطيون" نسبة إلى اليهودي "ساباطاي سيفي".

في سنة ١٤٩٢م عندما هاجر اليهود من الأندلس توجهوا إلى الدولة العثمانية التي سمحت لهم بالاستيطان في مناطق معينة مثل "سيلانيك، إسطانبول، إدرنة، بورصة وإزمير". ونظراً لأن هؤلاء يتقنون اللغات الأوروبية وكونهم ذوي معرفة في مجال الطب استطاعوا أن يتسللوا إلى القصور بصورة كتّبة أو مترجمين أو أطباء، وأصبح بعضهم وزراء ومقربين من الخليفة، وأصبحوا أغنياء، وعاشوا في ظل الدولة العثمانية حياة مطمئنة مدة ٤٠٠ عام ، إلا أنهم كعادتهم لم يُقصّروا في خيانة الدولة العثمانية واستغلال نقاط الضعف في هذه الدولة، إذ لعبوا دوراً مهما في هدمها.

أما "ساباطاي سيفي" فقد ولد في ١٦٢٦م في "إزمير"، وعائلته يهودية جاءت من إسبانيا إلى رومانيا ومنها إلى إزمير. تلقى هذا تعليمه على يد حاخامات اليهود، وفي ٣١ـ٨ـ١٦٦٥م أعلن مسيحيته فاعتقل في سنة ١٦٦٦م ومثل في القصر أمام القاضي وبحضور الصدر الأعظم، ولخوفه من الموت قبل الإسلام تلقينا من رئيس الأطباء في القصر "مصطفى أفندي" وهو يهودي الأصل، وبعدها أصبح يُعرف بـ "محمد أفندي". في سنة ١٦٧٦م توفي في ألبانيا بعد أن كان قد نشر مذهبه بصورة سرية وكسب لجانبه أكثر من ٢٠٠ عائلة بدلت دينها مثله. انهم تظاهروا بالإسلام ولكنهم بقوا على يهوديتهم سراً. إنهم الـ"دونما" والدونما تعني التحول أو الردّة.

بعد ذلك انقسم الدونما إلى ثلاثة أقسام هي:

١ـ القبّانيون ٢ـ الكاراكاشيون ٣ـ اليعقوبيون.

ويوجد هؤلاء بكثرة في "سيلانيك، إزمير، إسطانبول و إدرنة". في عام ١٩٠٠م كان عدد سكان سيلانيك ١٥٠ ألفاً، منهم ٦٠ ألف يهودي و٢٠ ألفاً من الدونما، واليوم في تركيا ٢٠٠ ألف من الدونما تقريباً و١٠٠ ألف ـ ٣٠٠ ألف يهودي.

قد لعبت سيلانيك دوراً مهما في هدم الخلافة العثمانية وتأسيس الدولة التركية العلمانية. لقد عمل الاتحاد والترقي وجون تُرك (حزب تركيا الفتاة) والمحافل الماسونية معاً لهدم الدولة العثمانية، حتى إن الجيش الذي أنزل عبد الحميد عن العرش

جاء من سيلانيك. إن مؤسس الجمهورية التركية مصطفى كمال نفسه لعنه الله من الدونما، ولد في سيلانيك ودرس في مدرسة شمسي أفندي التي هي للدونما، فمعظم قواد جون تُرك وقسم كبير من الاتحاد والترقي من الدونما كذلك.

تحالف الإنجليز واليهود والدونما في إسقاط الدولة العثمانية:

● كانت الدولة العثمانية تشكل عائقاً أمام أطماع المستعمرين الإنجليز، وتمنع اليهود من تأسيس دولة لهم في فلسطين، وهذا أدى إلى تحالف بين اليهود والإنجليز وتجمّع يهود الدونما حول الإنجليز، وكان نتيجة هذا التحالف أن هُدمت الخلافة وتأسست الجمهورية العلمانية.

● بعد هدم الخلافة وتأسيس الجمهورية التركية تم التوقيع على معاهدة "لوزان" في سنة ١٩٢٤م، وفيها عُين لتركيا حدودها الجغرافية وإطار سياسي معين. وطالما بقيت تركيا في هذا الإطار فقد خدمت الإنجليز وحافظت على مصالحهم، وجُعل بقاء تركيا ضمن هذا الإطار شرطاً في تركها وحالها، أي أن القوة بقيت بيد الدونما.

● استطاع يهود الدونما منذ أيام ساباطاي سيفي أن ينفذوا إلى كثير من الجماعات الإسلامية كالبكطاشيين والمولويين والملائميين والحلواتيين وحتى الطريقة النقشبندية في كثير من المناطق مثل البلقان وإدرنة وإسطانبول وإزمير، وأثروا في كثير من سلوكيات هذه الجماعات مثل إطفاء الشمع عند البكطاشيين، وغيرها الكثير من البدع في المعتقدات والعادات عند المولويين.

بعد تأسيس الجمهورية العلمانية مُنعت معظم الطرق الصوفية ما عدا ثلاثاً (البكطاشيين والمولويين وقسم من الطريقة النقشبندية). وكذلك بعض مشايخ بعض هذه الجماعات الصوفية لم يمسهم أذى. وبهذا استطاع الدونمة التغلغل في المجتمع دون أن يشعر بهم أحد.

● منذ تأسيس الجمهورية التركية العلمانية كان شعب الأناضول من مسنين ونساء ومعاقين يشكلون غالبية في المجتمع نظراً للحروب التي حدثت في نهاية العهد العثماني وما يسمى بحرب الاستقلال، إذ قتل فيها الكثير من الشباب والعسكريين والعلماء، ففي حرب ال "دردنيل" و"انافاطارلار" تحت قيادة مصطفى كمال قتل تقريبا ٥٠٠ ألف شاب من الأناضول. وبعد ذلك قامت الجمهورية بزعامة مصطفى كمال بكثير من المجازر ناهيك عن الحرب الشاملة التي شنوها ضد الإسلام، وهناك الكثير من الثورات التي قامت ضد المؤسسات والمفاهيم الإسلامية التي كان منها ثورة الحرف (اللغة) التي أضحى بها كل الشعب أُمياً لا يعرف القراءة والكتابة في ليلة واحدة، فأصبحت الساحة فارغة أمام اليهود والدونما الذين يعرفون الحروف الأجنبية لبث سمومهم، فأُجبر الناس على أخذ علمهم في المدارس والمعاهد التي أسسها اليهود مثل الثانوية الفوزية وثانوية إشيك وثانوية الترقي وكلية روبرت وثانوية جلاتا صاراي. لقد فُتحت هذه المدارس بتمويل فرنسي وأمريكي وبريطاني وبوساطة الدونما، ناهيك عن الذين ذهبوا إلى أوروبا لتحصيل العلم هناك. نعم، لقد اجتثت ثورة الحرف الشعب التركي من أصوله الثقافية اجتثاثاً تاماً وأبعدته كل البعد عن ثقافته الإسلامية. وبهذا أصبح المتعلمون في المجتمع ومثقفوه وأساتذته وحكامه ومن يتولون المناصب المهمة من الدونما وبالذات الجيش.

● معظم رؤساء الأركان في تركيا والكثير من الوظائف الحساسة كانت بأيدي الدونما.

● كذلك جميع الصحف التي صدرت منذ تأسيس الجمهورية وبالذات تلك التي ظهرت بعد ثورة الحرف، ومعظم الفنانين والعاملين في قطاع السينما والمسرح وفي الراديو والتلفزيون كانوا من الدونما والأقلية الأرمنية.

● كل من يسعى لإصدار صحيفة أو مجلة من غير الدونما كانوا يقومون بعملهم في ظل ظروف صعبة. نتيجة تضييق الخناق عليهم.

● أصحاب المؤسسات التجارية الضخمة وأعضاء جمعية رجال الأعمال الأتراك معظمهم من الدونما

واليهود أو الأتراك العلمانيين.

● كل رؤساء حزب الجمهورية، ومنذ عام ١٩٥٠م. رؤساء الحزب الديمقراطي وحزب العدالة كان معظمهم من الدونما أو الماسونيين، وكذلك رؤساء الأحزاب الحالية مثل الحزب الديمقراطي اليساري وحزب شعب الجمهورية وحزب الطريق القويم وحزب الوطن الأم وحزب القوميين الأتراك قسم منهم مثل بولنت أجاويد وألطان أويمان وطانسو تشيللر هم من الدونما، أما مسعود يلماز ودولت بهشلي فهم إما من الدونما أو من الأرمن، أما سليمان ديميريل فمعروف بماسونيته، وإنونو من الدونما ووزير الخارجية الحالي إسماعيل جام من الدونما كذلك.

● رئيس مؤسسة التعليم العالي الحالي كمال جورجوز ورئيس جامعة إسطانبول كمال عالم دارولو وكثير من رؤساء الجامعات المهمة من الدونما.

● أما البرلمان الحالي فهو يحوي من الدونما الكثيرين.

● لعبت تركيا دوراً مهماً خلال تأسيس إسرائيل، ففي سنة ١٩٤٣ عندما صدر قانون ضريبة الوجود على اليهود، قسم كبير من اليهود الفارين من النازية في أوروبا جاء إلى تركيا بينما كثير من اليهود الموجودين في تركيا هاجروا إلى فلسطين، ونتيجة لهذا القانون أُجبر حوالي ١٠٠ ألف يهودي على الهجرة إلى فلسطين وبهذه الطريقة أيضا هُجّر اليهود القادمون من أوروبا إلى فلسطين.

● عندما أُسست إسرائيل كانت الجمهورية التركية من أوائل المعترفين بها.

● يجدر بالذكر أيضا أنه يرجّح بأن الرئيس الثاني لإسرائيل إسحاق بن زيفي كان من الدونما الذين جاءوا من تركيا، وكذلك مما يلفت النظر أن رئيس وزراء إسرائيل بن غوريون ووزيرة الخارجية جولدا مئير ومستشاره شمعون بيريس ورئيس الأركان زيوي زفي جاءوا إلى تركيا سراً للقاء رئيس الوزراء عدنان مندريس في ٢٨-٨-١٩٥٨.

٣- النتيجة:

كل ما تقدم وغيره من الأدلة أوجد قناعة لدينا بأن ما يسمى بالقوى الخفية في تركيا هم من الدونما، أما وجود بعض الأذيال من العلويين وعملاء الإنجليز من الاتحاد والترقي فلا يغير هذه الحقيقة، وأثرهم يبقى محصورا. وبما أن الدونما من اليهود فلا توجد بينهم الألفة، فالخلافات والمشادات غالباً ما تحدث بينهم تبعا للمصلحة وخصوصاً عند زوال عدوهم المشترك. فكون قسم منهم مع إسرائيل وآخر مع الإنجليز وغيره مع الأميركان لا يغير من حقيقتهم.

ماذا تعني معرفة أن القوى الخفية بيد الدونما:

١- المجتمع بمعرفته هذه الحقيقة يعرف مصدر الظلم والمصائب التي تحل بهذا المجتمع، وبهذا لا تُهدر الطاقات لإيجاد الحلول في الأماكن الخطأ.

٢- إننا بهذا نبين للشعوب الإسلامية أن السبب في كل ما يحدث في تركيا ضد الإسلام والمسلمين إنما هو اليهود، وهذا بدوره يغير نظرة هذه الشعوب تجاه الشعب المسلم التركي.

٣- شيخ الإسلام مصطفى صبري (١٨٦٩م-١٩٤٥م) كان من الذين أدركوا هذه الحقيقة، فقد حاول شرح هذه القضية في مصر التي هاجر إليها، يقول مصطفى صبري في كتابه "أسرار هدم الخلافة": "وبهذا، فإن من يتكلمون باسم الأتراك ومن يعملون باسمهم هم في الحقيقة ليس لهم علاقة بالأتراك ولا حتى بالإسلام، فهم اغتصبوا السلطة بالقوة وتسلطوا على أموال المسلمين وأعراضهم وهم من الدونما لا غير، وبسببهم أصبح الشعب التركي ضعيفاً ومتخلفاً، بعض إخوتنا العرب يظنون أن ما يقوم به هؤلاء الدونما هو من فعل الشعب التركي واتخذوه سببا في معاداة الشعب التركي، إني لأدعو إخواننا المسلمين لأن يعوا ذلك وأن لا يخلطوا بين الشعب التركي المسلم الذي ضحى من أجل الإسلام وبين هذه الأقلية المسلطة على الشعب".

في الأيام الأخيرة أصبحت بعض الصحف تدرك واقع الدونما والحمد لله، نسأل الله أن يكون ذلك فاتحة خير.

يقول الله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشورى ٢٢٧] □

أثر الأحكام التي شرعت
في المدينة المنورة بعد قيام الدولة
على أحكام الطريقة التي شرعت في مكة المكرمة قبل قيام الدولة
(٢)

والأحكام السالفة نزلت في المدينة، وقد يفهم تأثيرها على الأحكام المكية من حيث الطريقة فيستلزم قيام الكتلة برعاية الشئون خلافاً لما كان عليه الحال في كتلة الرسول ﷺ في مكة، والحق أن هناك أحكاماً وردت في مكة تحث على عمل الخير والإنفاق منها:

قال الطبري حدثني هارون بن إدريس الأصم، قال: ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، قال: كان أبو بكر الصديق يعتق على الإسلام بمكة، فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أي بني، أراك تعتق أناساً ضعفاء، فلو أنك أعتقت رجالاً جُلّداً يقومون معك، ويمنعونك، ويدفعون عنك، فقال: أي أبت، إنما أريد "أظنه قال": ما عند الله، قال: فحدثني بعض أهل بيتي، أن هذه الآية أنزلت فيه: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ وقوله: ﴿وأما من بخل واستغنى﴾ يقول تعالى ذكره: وأما من بخل بالنفقة في سبيل الله، ومنع ما وهب الله له من فضله، من صرفه في الوجوه التي أمر الله بصرفه فيها، واستغنى عن ربه، فلم يرغب إليه بالعمل له بطاعته.

قال ابن إسحاق ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر من استضعفوه منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن من شدة البلاء الذي يصيبهم ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم فكان بلال مولداً من مواليهم وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرجه إذا حميت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ﷺ وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك: أحد أحد، ثم ذكر ابن إسحاق مرور أبي بكر ببلال وهو يعذب، فاشتراه من أمية بعبد له أسود فاعتقه وأراحه من العذاب. وذكر مشتراه لجماعة ممن أسلم من العبيد والإماء منهم بلال وعامر بن فهيرة وأم عميس التي أصيب بصرها ثم رده الله تعالى لها والنهدية وابنتها اشتراها من بني عبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها فسمعها وهي تقول لهما: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: حل يا أم فلان فقالت: حل، أنت أفسدتهما فاعتقهما. قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا؟ قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها، قال: ذلك إن شئتما، واشترى جارية بني مؤمل حي من بني عدي كان عمر يضربها على الإسلام، قال ابن إسحاق: فحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله قال: قال أبو قحافة لابنه أبي بكر: يا بني إني أراك تعتق ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك قال: فقال أبو بكر: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد، قال: فتُحدث أنه ما أنزل هؤلاء الآيات إلا فيه وفيما قال أبوه ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى﴾ إلى آخر السورة.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عبد الله بن أبي عتيق، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن بعض أهله، قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: يا بني، إني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً يمنعونك ويقومون

دونك؟ فقال أبو بكر ﷺ: يا أبت، إني إنما أريد ما أريد، لله عز وجل. قال: فيُتحدث أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيه، وفيما قال له أبوه: ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى﴾.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق ﷺ ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني﴾ الآية فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعاً وإخوانه وولده كلهم، ونزلت فيه أيضاً ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآية إلى آخر السورة.

وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ وقال جل وعلا في سورة إبراهيم: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ وقال جل ثناؤه في سورة سبأ: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وهذه الآيات كلها مكية.

فأحكام التصدق والإنفاق وبذل الخير شرعت في مكة وسار عليها الصحابة ولكن الرسول ﷺ لم يجعلها من أعمال الكتلة، ولم يطلب من الصحابة جمع الأموال لفك أسر العبيد، أو لإنقاذ الفقراء، والأحكام الشرعية في هذا الأمر والتي نزلت في المدينة توسعت في أعمال الخير وصوره، ولكنها لم تتسخ ما كان عليه شأن الكتلة في مكة في هذه الناحية، فضلاً عن أن قيام الكتلة بمثل هذه الأعمال يحتاج إلى دليل خاص بها ولا دليل.

أما الأشعريون فإنهم لم يتكتلوا على أساس رعاية الشئون، ولم يكونوا حزباً ذلك شأنه، بل إن من طبيعتهم أنهم يتعاونون فيما بينهم، وإذا ما ألمت بهم الملمات فإنهم يقتسمون أرزاقهم فيصيب كل واحد منهم نزر يسير من الرزق وهو عندهم أفضل من أن يستأثر قوم بالأرزاق دون غيرهم، وهذه الأحكام هي شأن الأفراد ويقوم بها الأفراد بشكل دائم.

بقيت مسألة الخروج على الحاكم، وورود أحكام شرعية فيما بعد قيام الدولة مما قد يفهم منها تأثيرٌ على أحكام الطريقة التي نزلت في مكة، خاصة وأن الخروج على الحاكم ليس مجرد عمل لخلعه بل هو طريقة لإزالة واقع تهيئة لواقع جديد، ولولا مسوغات الخروج لما خُرج عليه أصلاً، هذه المسوغات التي هي عدم تحقق فرضية إقامة الخليفة بسبب فقدان الخليفة أهلية الخلافة.

والأدلة التي أخذت منها أحكام الخروج على الحاكم هي:

ما رواه مسلم عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ. فَقُلْنَا: حَدِّثْنَا، أَصْلَحَكَ اللَّهُ، بِحَدِيثٍ يَنْفَعُ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «دَعَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ. فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا. وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ».

ووقع عند ابن حبان والطبراني في الكبير: «يا عبادة اسمع وأطع في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك إلا أن تكون معصية الله بواحاً».

ورواه ابن عساكر والطبري ورجاله ثقات عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عبادة عليك السمع والطاعة في يسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك ولا تنازع الأمر أهله، وإن رأيت أنه لك إلا أن يأمروك بأمر وفي لفظ: بإثم بواحاً». قيل لعبادة: فإن أنا أطعته؟ قال: يؤخذ بقوائمك فتلقى في النار وليجيء هو فليتقدك. ولأحمد : «إلا أن يأمروك بإثم بواحاً».

قال القرطبي: «الإمام إذا نصب ثم فسق بعد انبرام العقد، قال الجمهور: إنه تنفسخ إمامته ويخلع بالفسق الظاهر المعلوم، لأنه قد ثبت أن الإمام إنما يقام لإقامة الحدود واستيفاء الحقوق وحفظ أموال الأيتام والمجانين والنظر في أمورهم

إلى غير ذلك مما تقدم ذكره، وما فيه من الفسق يقعده عن القيام بهذه الأمور والنهوض بها. فلو جوزنا أن يكون فاسقاً أدى إلى إبطال ما أقيم لأجله، ألا ترى في الابتداء إنه لم يجز أن يعقد للفاسق لأجل أنه يؤدي إلى إبطال ما أقيم له، وكذلك هذا مثله. وقال آخرون: لا ينخلع إلا بالكفر أو بترك إقامة الصلاة أو الترك إلى دعائما أو شيء من الشريعة، لقوله عليه السلام في حديث عبادة: «وألا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان». وفي حديث عوف بن مالك: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة» الحديث. أخرجهما مسلم. وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا». أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه. أخرجه أيضاً مسلم. والمراد بقوله ﷺ: (ما أقاموا فيكم الصلاة)، (ما صلوا) أي الحكم بالإسلام من قبيل المجاز من إطلاق الجزء لأهميته وإرادة الكل.

والبواح الظاهر المكشوف، قال في النهاية: «إلا أن يكون كفراً بَوَاحاً أي جِهَاراً، من بَاحَ بالشيء يَبُوح به إذا أعلنه. ويُروَى بالراء» وقال ابن المنظور «وباحَ الشيءُ: ظهر. وباحَ به بَوْحاً وبُوُوحاً وبُوُوحَةً: أظهره. وباحَ ما كتَمْتُ وباحَ به صاحبُه، وباحَ بسِرِّه: أظهره. ورجل بَوُوحٌ بما في صدره وبَيْحانٌ وبَيِّحانٌ بما في صدره، وفي الحديث: إلا أن يكون كفراً بَوَاحاً أي جِهاراً، ويروى بالراء وأباحَه سراً فباح به بَوْحاً: أبَثَّه إياه فلم يَكتُمه؛ وفي الحديث: إلا أن يكون معصيةً بَوَاحاً أي جِهاراً. يقال: باحَ الشيءَ، وبُوحٌ: الشمسُ، معرفة مؤنث، سمِّيت بذلك لظهورها» .

وقال الخطابي : «من رواه بالراء فهو قريب من هذا المعنى، وأصل البراح الأرض القفراء التي لا أنيس فيها ولا بناء وقيل البراح البيان يقال برح الخفاء إذا ظهر" وقوله "عندكم من الله فيه برهان" أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه أنه لا يجوز الخروج عليهم مادام فعلهم يحتمل التأويل، قال النووي: «المراد بالكفر هنا المعصية ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروا عليهم وقولوا بالحقّ حيثما كنتم».

والحقيقة أن اللبس الذي حصل عند بعض المسلمين في مسألة الخروج على الحكام قد حصل لأنهم أنزلوا حكام اليوم منزلة الخلفاء وطبقوا عليهم أحاديث الطاعة وحرمة الخروج، مع أن حكام اليوم لا يعتبرون حكاماً شرعيين لأنهم يحكمون في دور كفر ويطبقون أنظمة الكفر فينطبق عليهم الحكم بإزالتهم وإقامة الخلافة الإسلامية.

ومما أوجد اللبس أيضاً ما كان عليه بعض خلفاء المسلمين من الظلم وأكل أموال الناس بالباطل مما حدا بالبعض مقارنة ظلمهم بظلم حكام اليوم.

والخروج على الحاكم هو التحلل من بيعته وعدم طاعته وقتاله أو هو التغيير عليه. والخروج على الحاكم لا يكون إلا بعد طاعة له واجبة من الله تعالى لأن الخروج هو تحلل من البيعة وانعتاق من الطاعة، هذا إذا كانت هناك طاعة وبيعة، أما إذا لم تكن للحاكم بيعة في أعناق المسلمين وليست له طاعة عليهم، وحكمهم بالكفر في دار كفر فإن موضوع الخروج لا ينطبق عليه ولا يبحث جواز الخروج عليه من عدمه بل يبحث تحويل الدار إلى دار إسلام وإقامة خليفة شرعي.

وبالنسبة لدار الإسلام فإنه لا كلام في أن السيف والقوة المادية طريقة لإزالة الكفر البواح وإعادة حكم الإسلام لأن مفهوم الأحاديث يدل دلالة واضحة على أن المسلمين إذا رأوا الكفر البواح عليهم أن ينازعوا الحكام بكل ما يملكون وإذا لم يقم الحكام أحكام الإسلام بأن أقاموا أحكام الكفر فالمسلمون ينابذونهم بالسيف ويغيرون عليهم بالقوة المادية.

ولأن نص الحديث يقول: «إلا أن تروا» وهذا يعني أنهم لم يكونوا يرونه من قبل وصاروا يرونه، وهذا يعني أنهم موجودون في دار إسلام. فالأحاديث تدل على أن ظهور الكفر البواح وعدم إقامة حكم الإسلام قد حصل بعد أن

(التتمة ص٣٤)

ذِكـرَى الخِـــلاَفَة

ذِكْرَى الخِـــلاَفَة في الأَعْمَاق تُشْجِينَا ... وَعَـــبْرَةُ الشَّـــوْق جَالَتْ في مَآقِينا
رَوَابِـــطٌ بَيْـــنَ مَاضِـــيهَا وَحَاضِرِنَا ... ولُحْمَـــةٌ بَيْـــنَ مَاضِـــينَا وَآتِيـــنا
مَلاَمِـــحُ الْمَجْـــدِ في الأَوْدَاجِ دَافِقَةً ... وَأَسْـــطُرُ النَّصْرِ خُطَّتْ منْ مَوَاظِينا
تَحَـــرَّكَتْ رَايَـــةُ الـــتَّوْحِيد خَافِقَةً ... نَشْـــوَانَةً تَـــتَهَادَى في أَعَاليـــنا
تَسَـــنَّمَتْ وَعَـــلَتْ فَوْقَ العُلُوِّ مَدىً ... يَحْكِي الشُّمُوخُ شُمُوخاً عَبْرَ مَاضِينا
بَـــوَارِقٌ لَمَعَـــتْ حَـــتَّى أَضَاءَ لَهَا ... فَجْـــرٌ تَدَفَّـــقَ مِـــنْ أَقْـــبَاسِ حطِّينا
صَـــوَافِنُ الْخَيْـــلِ إِذْ تُورَى سَنَابِكُهَا ... قَدْحـــاً بِصُـــمِّ صِـــلاَبٍ في دَيَاجِينا
جُـــنُودُنَا في الوَغَى أُسْدٌ ضَرَاغِمَةٌ ... وَفي الجِـــوَاءِ إِذِ انْقَضَّـــتْ شَوَاهِينا
الغَـــرْبُ أَجْمَعُـــهُ جِسْـــمٌ وَمُهْجَتُهُ ... نَفْـــطٌ تَفَجَّـــرَ ثَـــرّاً في بَوَادِيـــنا
يُسَـــاوِمُونَ وَإِنَّـــا مَـــا نُسَـــاوِمُهُمْ ... إِلاَّ عَـــلَى دَمِهِـــمْ يَجْـــرِي بِوَادِينا
يَـــا وَيْحَهَـــا طُعْمَةً تُبْدِي الوَلاَءَ لَهُمْ ... وَيُـــنْذِرُونَ بِوَيْـــلٍ مَـــنْ يُوَالِيـــنا
تَسَـــاقَطَتْ في خَـــرِيفِ الغَدْرِ ذَابِلَةً ... وَتَـــنْـــزَوِي في بَيَانَـــاتِ الْمُضَـــلِّينا
قَضَـــاءُ لَيْـــلِهِمُ مَـــعْ بِـــنْتِ خَابِيَةٍ ... في حِضْـــنِ غَانِيَـــةٍ أَضْحَى لَهُمْ دِينا
يُمَسِّـــكُونَ بِدَعْـــوَى لاَ خَلاَقَ لَهَا ... حَضَـــارَةُ الغَرْبِ في الأَوْحَالِ تُرْدِينا
مَـــاذَا بِهِمْ حَيْثُ صَارَ الْمَاءُ مُشْكِلَةً ... هَلْ جَفَّتِ الأَرْضُ أَمْ شَحَّتْ غَوَادِينا ؟
إِنَّـــا نَـــبِيتُ بِـــلاَ رَيٍّ وَلاَ شَـــبَعٍ ... وَفي الغَـــدَاةِ رَغِيـــفُ الْخُـــبْزِ يُعْيِينا
إِنَّ الـــذِي فَـــتَحَ اسْلاَمْبُولَ تَوْطِئَةً ... لِفَـــتْحِ رُومَـــا قَرِيـــباً سَوْفَ يَأْتِينا
تُـــرَى أَنُدْرِكُهَـــا أَوْ نَسْـــتَظِلُّ بِهَا ... وَقَـــدْ حَطَطْتُ رِحَالِي في الثَّمَانِينا ؟
بَنَاتُـــنَا وَبَـــنُونَا يَـــنْعُمُونَ بِهَـــا، ... خِـــلاَفَـــةٌ مِنْ عَوَادِي البَغْيِ تَحْمِينا
السَّـــيْفُ مَفْخَـــرَةٌ وَالنَّصْرُ مَكْرُمَةٌ ... وَيَـــا لَهَـــا مِـــنَّةً مِـــنْ فَضْلِ بَارِينا
قَـــالَ الرَّشِـــيدُ مَقَـــالاً سَطَّرَتْهُ لَنَا ... صَـــحَائِفُ الْمَجْـــدِ إِعْلاَمـــاً وَتَبْيِينا
مِـــنْ فَوْقِ بَغْدَادَ إِذْ مَرَّتْ سَحَائِبُهَا ... خَـــرَاجُهَا مِـــنْ أَقَاصِي الأَرْضِ يَأْتِينا
القُدْسُ مَا شَأْنُهَا هَلْ أَصْبَحَتْ عَرَضاً ... مَطْـــرُوحَةً في مَـــزَادِ البَيْعِ تَهْوِينا ؟
بِـــالأَمْسِ أَسْلَمَهَا الفَارُوقَ بَطْرَكُهُمْ ... وَثِيقَـــةً خَطَّهَـــا عَهْـــداً وَتَأْمِيـــنا
وَبِالجِهَـــادِ صَـــلاَحُ الدِّيـــنِ أَرْجَعَهَا ... أَعْطَى الصَّلِيبَ دُرُوسَ الْحَرْبِ تَلْقِينا
مَوَاقِـــفٌ خَطَّهَـــا عَـــبْدُ الْحَمِيدِ لَنَا ... لَـــمْ يُـــبْدِ وَهْـــناً وَلاَ ضَعْفاً وَلاَ لِينا
تُفَاوِضُـــونَ عَـــلَيْهَا، لاَ أَبَـــا لَكُمُ، ... قَوْمـــاً مُسُـــوخاً وَأَنْجَاسـاً مَلاَعِينا

تُقَدِّمُـــونَ لَهُـــمْ أَرْضـــاً مُـــبَارَكَةً ... بَيْعـــاً بَـــتَاتاً وَتَسْـــلِيماً وَتَمْكِيـــنا
هـــذِي ذُكَـــاءُ تَغُضُّ الطَّرْفَ مُطْرِقَةً ... عِـــنْدَ الطُّـــلُوعِ وَإِنْ غَابَتْ فَتَبْكِينا
تَبْكِي الخـــلاَفَةَ مُذْ غَابَ الجِهَادُ بِهَا ... وَعُطِّـــلَ الشَّـــرْعُ وَانْدَكَّتْ مَبَانِينا
سَـــبْعُونَ عَامـــاً مَضَتْ سَوْدَاءَ قَاتِمَةً ... مَـــآتِمٌ قَـــدْ أُقِـــيمَتْ بَيْـــنَ أَهْلِينا
إِنَّ السُّـــيُوفَ لَفِي أَغْمَادِهَا سَئِمَتْ ... حَزِيـــنَةً طَالَمَـــا تَشْـــكُو فَتُشْجِينا
يَـــوْمَ الكَـــرِيهَةِ تَزْدَانُ الأَكُفُّ بِهَا، ... بِهَـــا نُصُـــولٌ وَنَـــرْتَادُ الْمَيَادِيـــنا
لَـــبَّيْك بُوسْـــنِيَّةً مَذْعُورَةً صَرَخَتْ ... يَـــا مَـــنْ يُلَـــبِّي نِـــدَاءَ الْمُسْتَغِيثِينا
نُصِـــرْتَ أُخْـــتَاهُ لَمَّـــا هَبَّ مُعْتَصِمٌ ... دَكَّ العُـــدَاةَ وَأَضْـــحَوْا فِي الأَذَلِّينا
وَاليَـــوْمَ نَرْقُـــبُهَا فِي بُكْرَةٍ وَضُحَىً ... خـــلاَفَـــةً بَعْـــدَ ذُلِّ العَيْشِ تُحْيِينا
لَـــبَّيْك هـــذَا إِمَـــامُ الْمُسْلِمِينَ أَتَى ... وَرَاءَهُ جَحْفَـــلٌ يُـــرْدِي أَعَادِيـــنا
اليَـــوْمَ يُكْرِمُـــنَا رَبُّ الـــبَرِيَّةِ إِذْ ... تَعْـــلُو العُقَابُ اتِّسَاقاً فِي رَوَابِينا ❑

فتحي ســليم

ـ تتمة ص٣٢ ـ

لم يكن، أي قد وجد في وسط الإسلام أي في وسط دار الإسلام.

أما دار الكفر وهي الحالة التي يعيشها المسلمون اليوم حيث لا تطبيق لأحكام الإسلام، فإنّ الأمر مختلف لأن المطلوب في هذه الحالة هو تحويل هذه الدار إلى دار إسلام، والطريق الشرعي لتحويلها إلى دار إسلام هو حمل الدعوة الإسلامية بالتثقيف والصراع الفكري والكفاح السياسي ومن ثمّ طلب نصرة أهل القوة والمنعة من المسلمين لإزالة نظام الكفر برمته ووضع نظام الإسلام مكانه كما صنع رسول الله ﷺ منذ بعثه الله سبحانه بالإسلام في مكة إلى أن طلب نصرة أهل القوة من القبائل ثم استجابة الأنصار وبيعة العقبة الثانية وإقامة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ومن ثم تحويل دار الكفر إلى دار إسلام.

لذلك فأحكام الخروج لا تعتبر ناسخة لأحكام الطريقة في مكة ولا لأحكام طلب النصرة ولا تؤثر عليها لأن مناط تطبيقها لم يتحقق.

نخلص مما تقدم إلى أن الأحكام الشرعية التي يناط تطبيقها بوجود الخليفة لا يجوز للأفراد والجماعات تطبيقها، وعليها أن توجد من يطبقها وهو الخليفة، وأن الأحكام التي يكلف الأفراد بتطبيقها لا يتأثر تطبيقها بوجود الدولة من عدمه، وعلى الأفراد أن يلتزموا بها سواء وجدت دولة أم لم توجد.

ونخلص كذلك إلى أن الكتلة أثناء حمل الدعوة لا تقوم بالأعمال المادية بل تلتزم بالطريقة التي سار عليها رسول الله ﷺ.

كما نخلص إلى أن الأحكام الشرعية التي نزلت بعد قيام الدولة، لم تغير في أحكام طريقة قيام الدولة التي سار عليها الرسول ﷺ لأنه لا تعارض بينهما، كما أنه يجب حين العمل لإقامة الدولة أخذ كافة أحكام الإسلام وليس فقط ما نزل منها في مكة أي قبل قيام الدولة. مع مراعاة مناط تطبيق كل حكم من هذه الأحكام.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما أردت، وأستغفر الله لي ولكم ❑ [انتهى]

نور الدين التميمي

كلمة أخيرة

الأمن الغذائي والنموذج البريطاني !

مصـــطلح الأمن الغذائي مصطلح جديد بدأ استعماله يتردد على الألسن في السنوات الثلاثين الماضـــية، ويُقصد به مدى قدرة أية دولة على توفير الغذاء لرعاياها، حتى في ظل الظروف العادية وليس فقط في حالة الحرب. لذا نظروا إلى توفير الغذاء بوصفه نوعاً من أنواع الأمن، فعدم القدرة على توفيره هو بمثابة انعدام للأمن الغذائي.

أما ما حصل في السنوات القليلة الماضية في بريطانيا (جنون البقر)، وما كُشف النقاب عنه قبل أيام قليلة (الحمّى القلاعية) فقد جعل لمصطلح الأمن مفهوماً جديداً يقترب كثيراً من مفهوم الأمن العام، والأمن الداخلي، وأمن الدولة.

لقد غزت بريطانيا العديدَ من دول العالم غذائياً، فصدَّرت لها سمومها الغذائية على شكل لحوم، أو بقر حيّ، أو أعلاف مصنّعة من العظام ومن مخلفات المسلخ الحيواني الذي تسبب في مرض جنون الـــبقر، فـــأوقعت الكثير من دول العالم في رعب غذائي، وبدأت تلك الدول تستفيق من الصدمة فتعود بالذاكرة إلى الوراء لسنوات خلت تقلّب أوراقها لعلها تتأكد من تواريخ الصفقات التي تمت مع بريطانيا ومن أنواعها وأحجامها.

أصبحت بعض الدول تكذب على رعاياها فتنفي استيرادها لحوماً أو بقراً من بريطانيا تماماً كما حصل بعد ضرب العراق بقذائف مغلفة باليورانيوم حينما أطلقوا على السرطان الذي أصاب جنود أميركا وبريطانيا اسم «مرض الخليج» حتى لا يعترفوا بفظاعة جريمتهم.

بعد كل ما حصل ألا يستحق الغذاء أن يكون له أمن خاص ؟ وكذلك الدواء الذي يصدِّرونه لـــنا، والدم الذي سبق وأرسلوه لغيرهم وهو ملوث بفيروس الآيدز. إن الغرب الذي نستورد منه لقمـــة العيش والدواء والدماء والأمصال لا يرعوي ولا يرعى في مؤمن إلاًّ ولا ذمةً، فحياة البشر عـــنده رخيصـــة، خاصة إذا كانوا من دول العالم الثالث. ألم يصدِّروا لنا النفايات النووية السامة لتدفن في لبنان والصومال وغيرهما ؟

ألا يلاحـــظ المرء أن الدول الكافرة المستعمرة تقتحم عليه بيته غذائياً وإعلامياً وثقافياً وتربوياً وحضـــارياً وأمنياً على الرغم من تواري عسكرها عن الأنظار في بعض الأقطار وحضورهم جهاراً نهاراً في أقطار أخرى مثل دول النفط الخليجية.

لقد هبت رياح العولمة، وبدت ثمارها الأولى على شاكلة أصحابها من مدعي الحضارة الزائفة ❑

تنفيس وفشة خلق !

- يكاد لا يمضي يوم إلا ويُرى العلم الأميركي تشتعل منه النار في مكان ما من العالم بعامة والعالم العربي بخاصة. كما أنه يحصل الشيء نفسه بالنسبة للعلم الإسرائيلي، لكن في بعض الأقطار مثل فلسطين ولبنان والأردن وإيران...

- إن ظاهرة المسيرات الاحتجاجية لها بعض الإيجابيات التي لا تخفى على أحد، لكنها أصبحت هذه الأيام مجرد صراخ في صراخ، وحناجر تصدح كصرخة في وادٍ لا بشر فيه. ولا يستبعد أن يضحك علينا العالم حينما يرى فيلاً يصرخ من نملة.

- إن المظاهرات المتكررة وحرق الأعلام أصبحت مألوفة للمشاهد وكأن المشهد الذي يحصل أمام ناظريه لا يعدو كونه شريطاً مصوراً لمسرحية شاهدها بقدر ما شاهد الإعلانات المتكررة في التلفزيونات التجارية النشأة والهدف، فيسارع إلى التحول عن هذا المشهد إلى قناة لا إعلانات فيها.

- لو كانت المسيرات وحرق الأعلام تزعج اليهود أو تزعج الأميركيين لأصدروا الأوامر إلى الأنظمة بوقفها وسجن المتطاولين على شرطي العالم وربيبتها إسرائيل.

- إن الأعمال الموجعة لليهود وللولايات المتحدة هي غير ذلك تماماً، ويعلم ذلك جميع أصحاب الشأن بمن فيهم الذين يحرقون الأعلام أنفسهم، ولو أنهم وفروا على أنفسهم هذا الصراخ ووظفوه في الأعمال الموجعة لكانت النتائج غير ذلك تماماً.

- ما ينطبق على المسيرات وحرق الأعلام ينطبق على المؤتمرات والندوات والحوارات والمفاوضات والمقالات والشتائم، فكلها غدت من وسائل تنفيس الشعوب في هذا العصر الذي زوّروا فيه كل فعل وصرفوه عن غايته الأساسية، فبدل أن يحرك الحكام الجيوش لقتال يهود، سمحوا ببعض وسائل التنفيس.

- متى تستفيق هذه الأمة وتطور وسائلها وأساليبها لما يخدم قضيتها المصيرية، ويخدم التغيير الجذري الذي يعيد الحق إلى نصابه، ويعيد العزة للأمة ؟ ❑